الزيات ومجلة الرسالة

١ – كيف نهض بها ؟ .

بمدينة القاهرة وفى يوم الأحد ١٨ من رمضان عام ١٣٥٢ الموافق ١٥ من يناير ١٩٣٣ صدر العدد الأول من مجلة الرسالة فى عشرة آلاف نسخة تحت عنوان «الرسالة مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون» وأسفل العنوان كتب بخط صغير «تصدر كل أسبوعين مؤقتاً» .

ولم يكد يصدر العدد الأول حتى تلقفته الأيدى فى مصر والسودان ، نفد دون أن تحصل عليه الدول العربية الأخرى ، فاشتد الطلب من سوريا والعراق على هذا العدد ، ولم يجد صاحب الرسالة بدًّا من إعادة طبعه ، وطبع مرة ثانية ليلبى رغبة المتعطشين للأدب الرفيع وأخذت تصدر فى (١٥,٠٠٠) خمسة عشر ألفاً ، ثم ارتفع الرقم إلى

(٢٠,٠٠٠) عشرين ألفاً ، حتى إذا أقبل العام الهجرى صدر عددها الممتاز فى مطلع السنة الهجرية فى ٣٠٠٠٠ نسخة وكان هذا الرقم قياسيًّا آن ذاك .

وقصة مولد الرسالة تبدأ بعد عودة الزيات من العراق ، وكان موعوداً قبل سفره عام ١٩٢٩ أن يعين أستاذاً بالجامعة المصرية ، وزكى «أستاذ الجيل» أحمد لطفى السيد «سفر الزيات إلى بغداد ليكون مسوغاً أمام المالية ، وحتى يشغل فى مصر «درجة أستاذ» بعد عودته استناداً إلى ماضيه فى التعليم ومناصبه .

وفى عام ١٩٣٢ عاد الزيات من العراق بعد ثلاث سنوات قضاها فى النجاح والمجد ، تعرف فيها على كل رجالات العراق ، وعرف بها الطريق إلى الشهرة والكسب الأدبى .

ولما عاد وجد طه حسين قد فصل من الجامعة من أجل كتابه «فى الأدب الجاهلى» واستقال لفصله لطفى السيد ، ولم يشأ أن يرجع إلى الجامعة الأمريكية كما كان أستاذاً للدراسات العربية وكان قد تركها على الرغم منها ، أما الجامعة المصرية فقد غادرها من كان مطمح أمله ومعقد رجائه .

وكان لقاء بين الزيات والدكتور طه حسين دار فيه الحديث حول الأدب ، وحاول الزيات إقناع صديقه بإنشاء مجلة أدبية فى وقت كانت المجلات الهزلية تحتل المجال بعد توقف «السياسة الأسبوعية» وأبدى الدكتور طه مخاوفه من هذا المشروع ، ولكن الزيات أصر على تنفيذه مهما

تكلف من جهد ومال . .

وخرجت الرسالة إلى الحياة سنة ١٩٣٣ تعمل فى بث الوعى ، وجمع الشمل ، وتوحيد الصفوف وإشاعة معانى الخير والجمال فى دنيا الأدب قرابة عشرين عاماً .

ومن القصص الطريفة التى أضحكت جمهور القراء ، وتندر بها الناس :

أن الخطاط الذى كتب إعلان مولد الرسالة على لوحة الإعلانات ، نظر فى الإعلان الذى كلف بكتابته فوجده مكتوباً على النحو التالى :

(مجلة الرسالة يحررها الزيات وطه حسين) واعترته فرحة لما وجد أمامه هذين الاسمين الكبيرين ، ورأى أن يضيف إلى اسميهما ما يستحقان من معانى التكريم فتطوع بإضافة الأستاذية تأدباً منه وكرماً وكتب الإعلان هكذا :

(مجلة الرسالة يحررها الأستاذين : الزيات وطه حسين) .

وكانت (قفشة) نشرت جوًّا من الدعابة والتفكه بين مجامع عاصمتنا الكبرى ، وكانت خير إعلان عن المجلة الجديدة عاونها على الظهور والرواج .

وبدأ الزيات افتتاحية العدد الأول بقوله :

« وأخيراً تغلب العزم المصمم على التردد الخوار فصدرت الرسالة » .

ثم يشرح أسباب التردد ، ويحدد الإطار ، ويرسم المنهج الذى ارتضاه فيقول :

« وما سلط على نفوسنا هذا التردد إلا نذر تشاح ، وأمثال تروى ،

وكلها تصور الصحافة الأدبية فى مصر سبيلاً ضلت صواها ، وكثرت صراعاها ، فلم يعرف أحد منها – على الغاية والعلة أن السياسة طغت على الأدب الرفيع : أو الأزمة مكنت للأدب الرخيص ، والأمة من خداع الباطل فى لبس من الأمر ، لا تميز ما تأخذ مما تدع ؛ فلما تناصرت على هذه الوساوس حجج العقل ونوازع الواجب ، ورعدات الأمل ؛ أصبحت الأسباب التى كانت تدفع إلى النكول بواعث على الإقدام ؛ وحوافز للعمل» . ويمضى فى مقاله محدداً غاية الرسالة ، وموقفها من صقل الطبع ليحد من طغيان السياسة ، وتثقيف الذوق ليواجه بهرج الأدب ، وتوضيح الطريق ليبدد حيرة الأمة فيقول :

«هذه غاية الرسالة ، وما يصدفنا عن سبيلها ما نتوقع من صعاب وأذى فإن أكثر الناهضين بها قد طووا معارك الشباب على منصة التعليم ، فلا يعنيهم أن يخلقوا برد الكهولة على مكتب الصحافة . والعملان فى الطبيعة والتبعة سواء ، ومن قضى ربيع الحياة فى مجادب ذلك لا يشق عليه أن يقضى طريقها فى مجاهل هذا» .

ويرى الزيات أن يربط بالرسالة بين القديم والحديث ، يضع الأساس المنهار البناء ، ويقيم الدرج لمن استحال رقيه بالطفور ، ويوصل الشرق بالغرب ليعثر على الحلقة المفقودة بين الثقافتين ويقرب ما بين الخطين المتوازيين : الثقافة العربية الإسلامية ، والطفرة المدنية المتطورة .

وفى ختام مقاله يقول بلسان المؤمن الصابر المكافح :

«والرسالة تستغفر الله فيما يخامرها من زهو الواثق حينما تعد وتتصيد ، فإن اعتمادها على الأدباء البارعين ، والكتاب النابهين فى مصر والشرق العربى ، واعتصامها بخلصائها الأدنين من أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهم صفوة من خرجت مصر الحديثة من مناحى الثقافة إذا اجتمعا فى نفسها مع ما انطوت عليه من صدق العزم ، وقوة الإيمان أحدثا هذه الثقة التى تشيع فى الحديث من غير قصد .

على أن للرسالة من روح الشباب سنداً له خطره ، وأثره ، فإنهم أحرص الناس على أن يكون لثقافتهم الصحيحة مظهر صحيح ، وما دامت وجهة الرسالة الإحياء والتجديد ، وطبيعة الشباب الحيوية والتجدد ، فلا بد أن يتلاقيا على مشروع واحد .

فإلى أبناء النيل ، وبردى ، والرافدين نتقدم بهذه الرسالة راجين أن نضطلع بخطها من الجهد المشترك فى تقوية النهضة الفكرية ، وتوثيق الروابط الأدبية ، وتوحيد الثقافة العربية وهى على خير ما يكون المخلص من شدة الثقة بالمستقبل ، وقوة الرجاء فى الله بها» .

وبهذه المقدمة حدد الزيات معالم الطريق ، ورسالة الرسالة :

فهى ذات طابع أدبى خاص ، تربط ما بين الشرق والغرب ، وما بين القديم والحديث ، وتبعث الروح الإسلامى النبيل ، وتحيى تراث الشرق ، وتعلى ثقافة عربية عصرية متحررة ، وفوق ذلك تقرب بين أدباء العرب على اختلاف أوطانهم ، وتكون خير سفير للشرق لدى مثقفى دول الشرق وعلمائه ، وكتب لها أن تجتاز الحدود ، وتنجح فيما جعلت له . .

وصدر العدد الأول من الرسالة يحوى مقالات شتى فى العلم والأدب والفن ، وحدد الزيات مجالاتها بالعبارة الآتية (مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون والقصة) ؛ وإذا تصفحنا هذا العدد وجدنا فيه من الأبواب :

«حوادث وأحاديث» بدون توقيع ، و«دورة الفلك» للدكتور محمد عوض محمد و«حلقة مفقودة» للأستاذ أحمد أمين ، و«أثر الثقافة العربية فى العلم والعالم» للأستاذ الزيات ، وموضوع «لغوى» عن ترجمة بعض الكلمات الأجنبية للأستاذ عبد القادر المغربى عضو المجمع العلمى بدمشق ، ومقال عن «اللغة العربية كأداة علمية» للدكتور مصطفى مشرفة ؛ و«رسالة الأديب فى مصر» للأديب عبد الحميد يونس ، وباب ثابت عنوانه «فى الأدب العربى» وتحته مقال بعنوان «العبقرية والقريحة» أو «شوقى وحافظ» . ومقال عن «حلقات الأدب فى الفسطاط» لمحمد عبد الله عنان ، وباب للشعر بعنوان «من طرائف الشعر» وبه قصيدتان : أولاهما «الفأس والشجرة» للدكتور محمد عوض والثانية «وحى الحياة» لعلى محمود طه ، وباب آخر بعنوان «فى الأدب الشرقى» يكتب تحته الدكتور عبد الوهاب عزام عن ديوان «رسالة الشرق» لشاعر باكستان العظيم محمد إقبال وباب عن «الأدب الغربى» ترجم فيه الزيات قصيدة «لامرتين» الشاعر المحتضر ، وأهداها الزيات لروح شوقى لقرب العهد بوفاته ، وترجمة لقصيدة «بيت الراعى» للشاعر ألفريد دى فنى ويهديها الزيات إلى الأستاذ أحمد لطفى السيد ، وفى باب

العلوم يكتب الدكتور أحمد زكى عن «النوم واليقظة» وتحت عنوان «العالم النسائى» تنشر الرسالة قصيدة للزهاوى ، ألقاها فى المؤتمر النسائى العربى فى بغداد ، وفى التعليق على هذه القصيدة يشير الزيات فى عتب على الشاعر لاختياره هذه القصيدة لعددها الأول ؛ ويعده بدراسة آثاره وتحليل أشعاره ، وتحت هذا الباب أيضاً نشر مقال صغير بعنوان «الجمال والحب» ويثير قضية طرحتها صحيفة «المرأة» الفرنسية عن :

هل يجب أن تكون المرأة جميلة لكى تحب ؟ ونقل مترجم المقال «الأستاذ محمد مندور» آراء الفرنسيين الذين تعرضوا لهذا الموضوع فى مجلة «المرأة» الفرنسية .

وفى باب القصص بدأ الدكتور طه حسين ينشر مقالاته «على هامش السيرة» ومعها قصة مصرية بقلم محمود تيمور «الشيخ عفا الله» وفى نهاية العدد باب «العالم المسرحى والسينمائى» وفيه نقد لمسرحية «بنات اليوم» لفرقة رمسيس بقلم «محمد توفيق يونس» . وفى الصفحة الأخيرة عنوان لإعلان يقول : «انتظروا عدد الرسالة الخاص بمشروع القرش» .

وكان هذا المشروع يلقى تعضيداً ومعاونة وتأييداً ، من الأدباء والمفكرين ، ويمثل انتفاضة الشعب الاقتصادية ضد الاستبداد والاحتكار ، ويفهم من هذا الإعلان أن صاحب الرسالة يلتزم الجانب الوطنى والقومى فى كل قول توخاه ، أو عمل تولاه . وطبع من هذا العدد عشرة آلاف نسخة نفدت عن آخرها بمصر والسودان دون أن تلحق به الدول العربية الأخرى ، واشتد الطلب عليه فأعيد طبعه مرتين .

ويتضح من هذه الأبواب أن الطابع التقليدى كان يتحكم فى تبويب المجلة ، وأن التنظيم الكامل للأبواب وتنويعها ، ومحاولة استيعابها للكثير من المعارف ليبدو واضحاً من أول وهلة ؛ وصدر العدد فى ٧٢ صفحة ، ولم يكن به فهرس يضم الموضوعات المنشورة ، ولم ينظم فهرس العدد الثانى – أيضاً – أما العدد الثالث فقد ظهرت فيه أبواب الموضوعات مجموعة فى فهرس .

وظلت ملامح الرسالة محافظة على هذه الصورة طوال العشرين عاماً التى صدرت فيها ، عدا بعض التجديدات الطفيفة أو الزيادات التى تدعو إليها سنة التطور ، من ذلك ظهور باب جديد فى العدد الثانى بعنوان « خواطر وصور » كتب فيه الزيات ، وباب آخر بعنوان « النقد » ولا يحمل توقيعاً لكاتبه ، وإن كان يغلب على الظن أن كاتبه هو الدكتور طه حسين .

ومن ذلك أيضاً باب « الكتب » الذى طالعنا به العدد الثالث ، وبدأه الدكتور طه حسين بنقد كتاب « ضحى الإسلام » .

ولم تكن أبواب الرسالة وقفاً على كاتب بعينه ، أو تلتزم لفترة معينة ، أو تخضع لنظام ثابت بل هى مفتوحة لمن أراد الكتابة ، ومتجددة بفعل الأحداث والأحوال ، وتتخذ طريق التجديد والابتكار من عدد لآخر ، وأحياناً تصدر أعداداً إضافية أو فى مناسبات قومية كعدد « مشروع القرش » وكتب الزيات مقدمة هذا العدد ، وجعل عنوانها « رسالة الشباب » ويدعو إلى المشروع .

وفى السنة الأولى من عمر الرسالة ١٩٣٣ تبرز قضايا فكرية هامة ، تجذب الأفكار ويتناقلها الكتاب بالتعليق والنقد والبحث . . لعل من أهم هذه القضايا :

(ا) الحوار حول الفكر المصرى ومميزات العقلية المصرية ، بين توفيق الحكيم وبين طه حسين .

(ب) قضية اللاتينية والسكسونية بين العقاد وطه حسين .

(حـ) قضية الشعر المرسل بين محمد عوض محمد ومحمد فريد أبو حديد .

أما القضية الأولى :

فقد بدأها الحكيم بمقال نشرته الرسالة فى العدد العاشر بعنوان « إلى الدكتور طه حسين من الأستاذ توفيق الحكيم » . . وفيه يقول :

« يا دكتور ! ! يعنيك طبعاً أن تعلم كيف يرى الجيل الجديد عملك وعمل أصحابك ، إن رسالتى إليك ليست حكماً يصدره الجيل الجديد ، وإنما هى تفسير لذلك العمل ، لك أن تقره ، ولك أن تنكره فلا ريب أن العقلية المصرية قد تغيرت اليوم تحت عصاك السحرية ، كيف تغيرت ؟

يجيب الحكيم بأن لطفى السيد ، وجيل طه حسين ، هو الذى أوجد كلمة (أنا) فى العقل المصرى ، وهو الذى أوجد الشخصية المصرية ، واضحة لا فى روح الكتابة وحدها ، بل فى الأسلوب واللغة .

ثم يثير الحكيم التساؤل عن ما هية مميزات العقلية المصرية فى الماضى والحاضر والمستقبل ؟ .

ويتساءل قائلاً : ما روح العصر؟ ما مصر؟ ويضيف أنه لا بد من معرفة ما المصرى ؟ وما العربى ؟ وظل هذا السؤال يشغله عدة سنوات . .

ولاحظ الفرق بين المصرى والإغريقى بالفرق بين التماثيل الفرعونية مستورة الأجساد ، والتماثيل الإغريقية عارية الأجساد . . فكل شىء عند الإغريق عار وجلى ، وكل شىء عند المصريين خفى ومستتر ، ثم يشابه بين حضارة الهند ومصر فى قيامها على الروح ، وبين حضارة العرب والإغريق فى نشأتهما من الفقر والحرمان . . لذلك كان تفكير العرب وفن العرب يتمثل فى اللذة والحس والمادة ويلخص موقفه قائلاً :

« أى أدب عظيم يخرج من هذا التلقيح . . ! إنى أومن بما أقول يادكتور، وأتمنى للأدب المصرى الحديث هذا المصير . . زواج الروح بالمادة والسكون بالحركة ، والاستقرار بالقلق والبناء بالزخرف » .

ثم يختتم حديثه قائلاً :

« إن أمة واحدة استطاعت أن تجمع بين الروح والمادة هى اليونان ، برغم أنها لم تستطع النجاح المطلوب فى تطعيم الروح بالمادة ، ويأمل أن تقوم مصر بهذا الدور .

ويرد الدكتور طه حسين على الحكيم قائلا [1] :

« لست أدرى أيعنينى ، ويعنى أصحابى ، أن نعرف رأى الجيل الجديد فى جهدنا الأدبى ، وما أحدثنا من أثر فى حياتنا الأدبية ، لأن العلم الصحيح برأى المعاصرين لا سبيل إليه ، فلا تكاد توجد السبيل التى

---

(١) العدد ١١ من مجلة الرسالة ص ١٥ .

توصل إليه » . ويصحح للحكيم رأيه فيقول :

« ولكنى أؤكد لك أن حكمك على الشخصية المصرية فى الأدب محتاج إلى التصحيح ، وأنت قادر على هذا التصحيح ، إن قرأت أدبنا المصرى كما تقرأ الأدب الغربى ، وكما تجد الأدب العربى القديم ، ستجد فيه تقليداً ، وستجد فيه بديعاً كثيراً ، ولكنك ستجد فيه نزعة مصرية واضحة . . » .

ويحدد دور جيله ، بأنه لم يحدث الشخصية المصرية ، وإنما أزال عنها الحجب والأستار ولم يمنحها الحياة ، وإنما منحها النشاط .

ثم يخلص فى نهاية مقاله إلى جوهر الموضوع ، ويرد على التساؤل الذى يدور حول الأدب الحديث ما هو ؟ وما العناصر التى تؤلفه ، فيقول :

« العنصر المصرى الخالص الذى ورثه المصريون عن قدمائهم على اتصال الأزمان ، والذى يستمدونه دائماً من أرض مصر ، وسمائها ونيلها وصحرائها ، والعنصر الثانى : هو العنصر العربى الذى يأتى مصر من اللغة والدين والحضارة ، ومهما نفعل فلن نستطيع أن نخلص منه ، ولا أن نضعفه ، ولا أن نخفف تأثيره فى حياتنا ، فقد امتزج بنا ، وكل محاولة لمحوه ، إنما هى محو لهذه الحياة ، ومحو لهذه الشخصية ، أما العنصر الثالث : فهو العنصر الأجنبى الذى أثر فى الحياة المصرية دائماً ، والذى سيؤثر فيها دائماً ، والذى لا سبيل لمصر إلا أن تخلص منه ، ولا خير لها فى أن تخلص منه لأن طبيعتها الجغرافية تقتضيه . . وعلى الأديب أن يستمد خواطره ، ويستلهم وحيه من هذه العناصر الثلاثة .

وفى العدد الثامن عشر يؤكد الحكيم اتفاقه مع الدكتور طه حسين فى الرأى والغاية ، وأن الخلاف فى تفاصيل لن يعود إليها ، وإنما يثير أفكاره من نافذة قطار ، ويطرح مسائل ، ويلقى بفروض سوف يجمعها الباحثون يوم تستيقظ الأجيال .

ويحاول الحكيم أن يفتح باباً للنقد الفنى فيقول :

« أنعقد النقد كالخلق خاضعاً لسلطان التيارات الفكرية الثلاثة التى ذكرها الدكتور . . أم نعقده كالعلم لا يخضع لمثل هذه المؤثرات ؟ ويترك الباب مفتوحاً ويكتفى بما قاله :

« أنا أكتب ولا أدرى أين يخط بى قلمى ؟ دعنى أولاً أنشئ على هذا النغم بعض « تقاسيم » دون أن أعنى الآن بالغاية » .

وتشترك « مى » فى هذا الحوار ، فتكتب مقالاً متهافتاً بعنوان « بل مصر مصرية [1] » ويدلى الزيات بدلوه فى هذا المضمار فيقول :

« لا تستطيع مصر الإسلامية إلا أن تكون فصلاً من كتاب المجد العربى ، لأنها لا تجد مدداً لجيوشها ولا سنداً لقوتها ، ولا أساساً لثقافتها ، إلا فى رسالة العرب ، أما أن يكون لأديبها طابعه ، ولفنها لونه ، فذلك قانون الطبيعة ولا شأن « لمينا » ولا « ليعرب » فيه ، لأن الآداب والفنون ملاكها الخيال ، والخيال غناؤه الحسن ، والحس موضوعه البيئة ، والبيئة عمل من أعمال الطبيعة ، يختلف باختلافها فى كل قطر ، فإذا لم يوفق الفنان بين عمله وعمل الطبيعة ، ويؤلف بين

(١) العدد ٢١ من الرسالة .

روحه وروح البيئة فاتته الصبغة المحلية ، وهى شرط جوهرى لصدق الأسلوب ، وسلامة الصورة — وقديماً كان لون الأدب فى الحجاز غيره فى نجد ، وفى العراق غيره فى الشام ، وفى مصر غيره فى الأندلس » .

ويقرر الزيات « أن الروح التى تنفخ فى مومياء فرعون هى روح عمرو ، وأن اللسان الذى ينشر به مجد مصر ، هو لسان مضر ، وأن القيثار الذى توقع عليه ألحان النيل هو قيثار امرئ القيس ، وأن آثار العرب المعنوية لا تزال تعمر الصدور ، وتملأ السطور وتغذى العالم .

ومقالة الزيات هذه بقدر ما كانت ردًّا على الدكتور طه حسين والحكيم ، فإنها كانت إسهاماً منه فى المعركة الأدبية التى أثيرت على صفحات جريدة السياسة الأسبوعية . . وقام بالدعوة إلى الفرعونية فيها الدكتور محمد حسين هيكل ، ولى عودة إلى هذا الحديث عند الكلام على المعارك الأدبية التى خاض غمارها الزيات .

أما القضية الثانية « قضية اللاتينية والسكسونية» بين العقاد وطه حسين ، فتبدأ بمقال نشره العقاد فى جريدة الجهاد (١٧ يناير ١٩٣٣) يتناول فيه كتاب « أنطون الجميل » رئيس تحرير جريدة الأهرام عن شوقى بالنقد ، ووصف المؤلف بأنه من أصحاب الثقافة اللاتينية ، تلك الثقافة التى تعنى بالأناقة والظواهر خلافاً للثقافة السكسونية التى تعنى ببساطة الطبيعة ، وبالشخص فى ذاته ويقول فى ذلك :

« لا بأس أن تطلق حكماً عامًّا على مدرستين كبيرتين ضمن مدارس النقد الأدبى الحديث فى البلاد العربية ، وهما مدرسة اللاتين وشعارها

الأناقة ، ومدرسة السكسون وشعارها البساطة أو الفطرة . . » وقال عن الجميل :

« إنه يقدم شوقى فى هذا الكتاب كما يقدم الظريف الباريسى صاحبه إلى جماعة الصالون ، مجاملة اجتماعية فى كل سطر من السطور ، فإن كان لا بد من غمزة ، فهى الغمزة التى تعود فى أثناء الكلام نكتة مستملحة » .

وفى الرسالة يرد الدكتور طه حسين على العقاد قائلاً :

« إنه قد يشارك العقاد فى كثير جدًّا من آرائه فى شوقى والمعجبين بها ، ولكن الشىء الذى يخالف فيه العقاد أشد الخلاف والذى من أجله يكتب هذه الفصول هو المقدمة التى بسطها العقاد بين يدى نقده لكتاب أنطون الجميل ، وعرض فيها لما سماه « نقد اللاتينيين ونقد السكسونيين » .

ويستمر الدكتور طه حسين فى نقده قائلاً :

« إن العقاد ظلم الثقافة اللاتينية وظلم النقد اللاتينى ، وظلم قراءه ، لأنه ليس هناك نقد لاتينى ونقد سكسونى ، وإنما هناك نقد فحسب وأنه لا خلاف فى الجوهر أو الطبيعة بين النقدين » .

ويختم حواره بقوله :

« أنا لا أحب أن يظن الأستاذ العقاد أنى أدافع هنا عن الثقافة اللاتينية على حساب الثقافات الأخرى ، فأنا أشد الناس إكباراً للثقافة السكسونية ، وإعجاباً بما عرفت منها » .

ويرد عليه العقاد تحت عنوان : « نعم لاتينيون وسكسونيون » وفيه يقول :

« إن الأدباء المصريين ينقسمون إلى دارسين للثقافة اللاتينية ، ويكثر بينهم مؤرخو الأدب والشارحون ، ودارسين للثقافة السكسونية ويكثر بينهم الأدباء والشعراء » .

ويرد الدكتور طه حسين فى العدد الثالث من مجلة الرسالة على العقاد بقوله :

« إنه لا يجب أن تنتقل المناقشة بينه وبين الأستاذ العقاد من نقد اللاتينيين إلى الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية ، لأنه يحب الثقافتين معاً .

واشترك فى الحوار أدباء آخرون أمثال الأستاذ سلامة موسى ، ولم يسكت الدكتور طه حسين بل يرد موجهاً الحديث إلى سلامة موسى ويقول :

« إن المسألة أعسر وأعظم خطراً من أن يقضى فيها بجرة قلم ، وبهذا الإيجاز الذى لا يمكن أن يوصف بأقل من أنه يدعو إلى الابتسام . .

ويختتم العقاد هذه القضية بقوله فى جريدة الجهاد « ألا يشعر الدكتور طه أن دينه للأدب السكسونى أكبر من دينه للأدب اللاتينى ؟ أليس الدكتور متأثراً « بجيته » حتى فى فلسفة بيتر التى أشار إليها ، حتى فى التفاته الخاص إلى شغف ابنه بكنيسة « ستراسبورج » التى كان لها فى حياة «جيتى» أثر بليغ ، أليست طريقة الفصول الخطابية هى طريقة الرسائل الفرترية ؟ فهل ترى الدكتور على استعداد لأن يرد إلى السكسون ما أخذ منهم هنا مكتفياً بما أخذه من اللاتين ؟ إنه ليخسر ولا يربح فى هذه الصفقة بلا مراء » .

وتبقى القضية الثالثة ، وهى قضية « الشعر المرسل » وفيه يبدأ الشاعر ببحر الخفيف ثم يعرج على البسيط ثم إلى الرمل . . وهكذا ، ويصور الدكتور محمد عوض محمد الشاعر [1] بالطاهى الذى يخلط الحلو بالحامض والمائع بالجامد . . .

ويعيب على شوقى فى مسرحياته هذا المذهب ، ويرى أن هذه الدعوة لن تثبت للنقد ولكنها ستذهب سدى .

ويدخل حلبة النقاش محمد فريد أبو حديد بمقال له تحت عنوان « هل للشعر المرسل مكان فى العربية ؟ » ويستشهد بمقطوعتين مترجمتين من مسرحية عطيل لشكسبير إحداهما شعرية والأخرى نثرية .

وعند الحديث عن معارك الزيات الأدبية سأرجع بشىء من التفصيل لكل هذه القضايا لأن الزيات شارك فيها بالجهد والرأى والتوجيه ، وعلى الرغم من قلة ما روى عنه من المعارك الأدبية إلا أن المعارك التى دخلها أخذت طابع الجدية والدراسة والعمق ، وكان لها فى مجال الأدب والأدباء أبعد الآثار .

وفى العدد الحادى والعشرين ، صدرت الرسالة تحمل إعلاناً بارزاً كتب فيه :

إنها ستصدر أسبوعية ابتداء من السبت ٢ ديسمبر ١٩٣٣ وسيزاد على أبوابها : « باب للنسائيات ، أو الأخبار الأدبية والعلمية والثقافية للسينما والمسرح وإنها ستعنى بالقصص والاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة العالمية .

---

(١) العدد الخامس من مجلة الرسالة .

وصدر العدد ٢٢ فى يوم الاثنين بدلاً من السبت ، وأصبحت أسبوعية ، واختار الزيات يوم الاثنين لأسباب مالية تتعلق بالتوزيع .

وفى بداية العام الثانى ، يكتب الزيات افتتاحية العدد السادس والعشرين فيقول :

« إن الرسالة لم تلبث على قرب عهدها بالوجود أن عقدت أسباب المودة بينها وبين القلوب العربية فى أقطار الأرض فظلوا يخالصونها الولاء ، ويصادقونها النصح ، ويواضعونها الرأى ، ويربئون بها أن تسف أو تخف ، أو تشغل مكاناً منها بالإعلان » .

ثم يصف دورها فى خدمة الأدب فيقول :

« إن الأدب الصحيح الناضج ، كان يتجلجل دامياً فى أعماق أهله ، ثم لا يجد السبيل إلى الخارج لتسلط الوساوس التى ذكرها فى العدد الأول[1] فكان كل أديب موهوب يقصر ألحان قلبه على سمعه كأنه الينبوع الشادى فى ضلوع الوادى ، لا يقع شدوه فى أذن ، ولا يتصل نشيده بنشيد ، فكان سبيل الرسالة إذن أن تضم الأشتات إلى الأشتات ، وتوفق بين الأصوات والأصوات ثم تؤلف من هذه الآلات المفردة جوقة موسيقية متحدة تسكب فى مسامع الوجود أناشيد الخلود » .

ثم ينهى المقال راجياً :

« إذا كنا قد قطعنا موفقين أول العهد ، والرسالة رسالة فرد ، والمجهود مجهود نفر ، فكيف يتلكأ الحظ ، ويتعثر الأمل ، وقد أصبحت الرسالة

---

(١) يقصد بقوله انصراف القراء عن الكتابة الجادة .

رسالة أمة ، والمجهود مجهود شعب » . .

فالرسالة أدت للأدب خدمة جليلة ، إذ جعلت من صفحاتها منبراً تلتقى فوقه الأقلام ، وألفت فرقة موسيقية مختلفة النغمات والألحان ، وتسكب فى مسامع الوجود أناشيد الخلود . وكان الزيات يقصد بهذا التقديم أن يوقف القارئ العربى ، على ما بذل من جهد ، وما حقق من كمال ويرجو أن تكون فى ظل الشعب رسالة أمة حتى لا يتعثر الأمل .

وبدأت الرسالة تحث الخطى ، وتتخذ من المناسبات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية والفنية مجالات تجول فيها ، وتسهم بدفع عجلة الإصلاح والتطور ، وأخذت أعداد « العام الهجرى » تحتل مكانها البارز ، وأصبحت الرسالة ميداناً لصراع الأقلام ، فهى من ناحية تندد بالمستعمر الغاصب وتدعو إلى القومية العربية ، ومن ناحية أخرى تدعو إلى إصلاح المجتمع وإلقاء الضوء على علله من فقر وجهل ومرض . . . إلخ ، وظهرت على صفحاتها – أيضاً – مترجمات من مختلف اللغات وبالعديد من الأقلام ، وإلى جانبها دراسات فلسفية إسلامية وغربية ، ويهاجم الاستعمار الغربى بلا هوادة أو رحمة قائلاً [1] :

« للاستعمار الغربى تاريخ أسود ، حافل بصنوف الاعتداءات الدموية على حقوق الأمم الضعيفة ، وعلى أرواح الشعوب الآمنة وحرياتها وأرزاقها ، ولكن هذا الاستعمار الدموى الغادر ، لم يبلغ فى عصر من العصور ، ولا فى ظرف من الظروف ، ما يبلغه اليوم من الجرأة

---

(١) العدد ١٠٩ تحت عنوان « قضية الحبشة . وقضية الحرية » .

والاستهتار ، بل من الإجرام والتوحش » . . .

ويسير الزيات بالرسالة نحو الهدف الأسمى الذى يرجوه لها ، ولأمته ، ويثير فى جوها مناسبات تكون قواعد لها دلالاتها العلمية والعاطفية ، ويطرح أسئلة يرجو الجواب عليها ومنها :

١ — هل استقر لنا أدب خاص ؟

٢ — هل صدر عنا إنتاج مستقل ؟

٣ — هل ظهر فينا زعيم موهوب ؟

٤ — هل غلبت علينا ثقافة واحدة ؟

٥ — هل اتسع نطاق الأدب العربى فشمل نواحى الفن ؟

وفى عام ١٩٣٧ تدخل الرسالة عامها الخامس ، وتولد « الرواية » مجلة القصص العالمى والسمر الرفيع ، تعتمد على نقع روائع الأدب الغربى فى القصص على أوسع مراميه ، ويعلن الزيات عن إصدار « الرواية » قائلاً :

« سيكون دستورها الجمال فى الأسلوب ، والحسن فى الاختيار ، والنبل فى الغرض فترضى الذوق ، كما ترضى الرسالة العقل ، وترفع القصة ، كما ترفع الرسالة المقالة وتسجل أدب الغرب ، كما تسجل الرسالة أدب العرب » .

كما شهدت صفحات الرسالة فى هذه الفترة « حواراً » حول « الأدب الجاد ، والأدب الخفيف بدأه الزيات بمقال « أدب السندويتش » هاجم فيه الأدب الخفيف فى سرعته وتفاهته ، كما هاجم أنصاره قائلاً :

إن آكلى السندوتش أعجلتهم محافز العمل ، ومشاغل الرزق ، عن النعيم الآمن ، والجمام الخصب ، والبيت المطمئن ، فجعلوا مملكة المطاعم نظاماً وفلسفة » .

ويشترك مع الزيات بالرأى « المازنى » و « العقاد » . وغيرهما من النقاد والكاتبين . ومن أبرز الموضوعات التى أخلص الزيات فى علاجها :

علل المجتمع المصرى من فقر وجهل ومرض ، وقضية الفلاح والظلم الواقع عليه ، ومن مقالاته فى هذا المجال : « بين الفقير والغنى ، وعيد الفقير ، وكيف نعالج الفقر؟ يا أذن الحى اسمعى ، غنى فقير ، منطق الغنى . . . إلخ . وعندما وقع خلاف فى نادى الفروسية عام ١٩٣٩ بين « الأمير » عمرو إبراهيم رئيس النادى وبين بعض الأعضاء قال فيه الأمير :

« الفلاحين ما يدخلو من الكلوب » وتأخذ الحمية الزيات فيرد اللطمة للأمير بمقال تحت عنوان « فلاحون وأمراء » . ومما قال فيه :

« إن بعض الذين جعلناهم أمراء ونبلاء ، لا يزالون على عقلية ذلك التركى الفقير الذى كان يقرع الأبواب مستجدياً ، فإذا أجابه المجيب الفزع قال : فى عنف وصلف وأنفة : « هات صدقة لسيدك محمد أغا » . وكانت هذه الافتتاحية سبباً فى أزمة عارمة وقف فيها رئيس الوزراء إلى جانب الزيات ، وكسب جولة ووقفة من الوقفات الرائعة التى سجلها له التاريخ . .

ومع مواقف الإصلاح الاجتماعى ، تبرز مواقف أخرى للزيات ،

أهمها ما تناول الحياة الأدبية فى معظم البلدان العربية . . ولى عودة إلى تلك المواقف بشىء من التفصيل والتوضيح .

٢ – « الرسالة والرواية » :

فى عام ١٩٣٧ أصدر الزيات مجلة أخرى شقيقة للرسالة ، سماها « الرواية » وجعلها ميداناً فسيحاً لفن القصة المترجمة والمؤلفة ، العربية والأجنبية ، واشترك فيها بفكره وفنه وببعض القصص عن الفرنسية ، وعكف على الكتابة فيها أدباء أعلام ، وأبناء جيل ناهض من عشاق الأدب والفن ، وصدرت فى أول أمرها شهرية ونصف شهرية ، وكتب فيها أمثال : عبد الرحمن صدقى ومحمود الخفيف ودريني خشبة ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم ومحمد الرافعى ونجيب محفوظ ، ومحمد فريد أبوحديد . . . وغيرهم من مشاهير أدبائنا اليوم . . . وكانت صفحاتها لا تزيد عن السبعين صفحة ، وموضوعات كل عدد منها فيما بين عشرة موضوعات أو اثنى عشر . . وفتحت المجال للفكر الغربى والشرقى على السواء .

وظلت تصدر نصف شهرية حتى العدد الخامس والستين ، فلم يقدر لها العمر الطويل ، فلفظت أنفاسها ، واندمجت مع أختها الرسالة فى مجلة واحدة باسم « الرسالة والرواية » :

ويوضح الزيات أسباب هذا الاندماج ، ويرجعه إلى الحرب وويلاتها فيقول (١) .

---

(١) الرسالة : العدد ٣٣٩ أول يناير ١٩٤٠ .

«إن الرسالة لم تسلم من الحرب المختلية الطاحنة ؛ فقد كانت أقسى ما تكون على الصحافة ، قطعت عنها الوارد من الورق والحبر ، وأدوات الطباعة ، فنقصت فى الكيف والكم بقدر ما زادت فى النفقة والهم ، وقل انتشارها فى الأقطار البعيدة» ، ويتابع الزيات شرح هذه القضية مبيناً مدى الأزمة التى قاستها حتى إنها اضطرت إلى نقص صفحاتها . والاقتصاد فى زينتها . . وفى ذلك يقول :

«ولتضمن لنفسها استمرار الحياة فى هذا الدهر العصيب ، جعلت الرواية فى أحشائها إلى حين ليتوفر لها ما كانت تنفقه أختها من الورق ، وتهلكه من المادة ، وكل ذلك فى رأينا ورأى القارئ الصديق أهون من التهور فى الهجوم القاتل ، أو التعرض للإسراف المعطل . . .» .

ويؤكد الزيات أن الحرب لن تؤثر على جوهر الرسالة إذا كانت قد أثرت على مظهرها ، كما أن التأثير لن يمتد أثره إلى تحريرها وخطتها ، ويعد القارئ بأن الرسالة «ستسير فى طريق الكمال بقدم ثابتة وخطى متزنة ، فلا تعسف لتضل ، ولا تسرع لتكل ، ولا تجازف لتنقطع» .

وتفتح الرسالة باباً جديداً «للأقصوصة» وتنشر فيه قصة أو قصتين بكل عدد . . وتسير على هذا المنوال قرابة العام . . وفى بداية كل عام هجرى يصدر عدد خاص بالهجرة الشريفة ، ويبلغ حجم الصفحات أربعين صفحة حافلة بموضوعات : القصة والأدب والعلم والفن والشعر ، بالإضافة إلى ركن خاص بالبريد الأدبى .

فإذا جاء النصف الثانى من عام ١٩٤٠ هبطت بصفحاتها إلى

الثلاثين بل إلى العشرين فى مطلع عام ١٩٤١ ويرجع السر فى ذلك إلى أزمة الورق فى فترة الحرب ، كما قل عدد النسخ المطبوعة ، وأحياناً كان يقتصر العدد المطبوع على المشتركين فقط [١] .

ولم يقف انعكاس حال الحرب على الورق فقط ، بل شمل المادة التى تتحرر بها ، ففى ربيع عام « ١٩٤٠ » يستقبل الزيات الربيع بمقال عنوانه « الربيع الأحمر » وفيه يقول :

« الربيع الأحمر يخلقه الإنسان من الذهب واللهيب والدم . فيجعل من الجدول خنادق ، ومن الأغصان بنادق ، ومن الأرواح مدافع ، وتصبح الأعشاش الناعمة المفردة المعطارة بمثابة بؤس ، ومناحة شباب ، أو مستودع غاز » .

ويتحدث الأدباء عن الحرب وويلاتها وآثارها على البشر بل العالم كله ، وممن كتب عنها فى الرسالة العقاد ، وزكى مبارك ، وعلى محمود طه . . وغيرهم من شعراء العروبة .

فالعقاد يقول :

« إن الحرب تفتح المسارب بين الإنسانية والحيوانية على المصراعين ، بل على شتى المصاريع » .

والزيات يقول عن الصحافة الأدبية التى ألح عليها فحش الغلاء :

« أصبحت لا تجد الورق إذا وجدت المال ، ولا تملك زيادة العرض

---

(١) إعلان العدد ٤٩٩ بتاريخ ١٩٤٣/١/٢٥ .

إذا ملكت زيادة الطلب ولا تضمن بقاء الغد ، إذا اطمأنت إلى بقاء اليوم » .

ويصف على محمود طه ليلة عيد الميلاد ، وسط الدموع والدماء قائلاً :

ليلة الميلاد والدنيا دموع ودماء
فى ربوع كان فيها لك بالسلم ازدهاء
ويحهم أين تراهم هؤلاء التعساء
هم وراء الليل أجساد وأرواح هباء
ووجوه رسم الرعب عليها مايشاء

فسحت الرسالة صفحاتها لأدب الحرب ، كما احتفظت لنفسها بالطابع الأدبى الذى التزمت به وتحمل صفحاتها أبواب : الدفاع عن البلاغة للزيات ، ومقالات عن الشعر المرسل ، أو الشعر الحر لدرينى خشبة . . وقام حوار بناء حول هذه القضية اشترك فيه أعلام الفكر والأدب ؛ ودخل العقاد فى الحوار مصححاً رأى درينى خشبة فى زعمه أن عبد الرحمن شكرى ومحمد فريد أبو حديد هما رائد الشعر المرسل فى العصر الحديث . . وقرر :

أن الابتداء بالشعر المرسل فى العصر الحديث محصور فى ثلاثة من الشعراء لا يعدوهم إلى آخر وهم السيد توفيق البكرى ، وجميل صدقى الزهاوى ، وعبد الرحمن شكرى .

وفى مطلع كل عام هجرى يكتب الزيات فصلا ضافياً عن هذا الحدث الضخم الذى حوّل مجرى التاريخ من ذلك قوله بعنوان « عبقرية الإسلام » .

«ذلك الإشراق الإلهى الذى انبثق من غار حراء ، فكشف للرسول عن أطوار النفس البشرية ، وتنظيم العمران ، وتعميم الخير ، وتحقيق السعادة .

وتنتهى الحرب العالمية ، فيزول عن المطابع شح الورق ، وتعاود الرسالة سيرتها الأولى ، وتزيد عدد صفحاتها .. ويبدأ عهد جديد من التنظيم والإخراج والإتقان .

وتحوى أعدادها أنماطاً من الأحداث السياسية والاجتماعية الهامة التى تعيشها البلاد ، كميلاد الجامعة العربية ، وعرض قضية مصر على الأمم المتحدة وحرب فلسطين ، وحريق القاهرة ومعارك الفدائيين فى القنال ، وأخيراً ثورة ١٩٥٢ .

وتشترك الرسالة بالرأى ، وتتخذه أساساً لمعاركها مع الطغاة المستعمرين ، ويترك الزيات لقلمه العنان ، فيكتب غير مبال بما يناله من عنت ، وبما يصيبه من جهد ومكابدة ..

وتصدر له مقالات عن «نهضة العرب مشكلة» وعن «رحم الله أودلف هتلر» وعن «نحن والظالم أمام القضاء» . و «صليبية من نوع جديد» و «نهاية مأساة» . . إلخ وأسلوبه فى هذه المقالات ينبض حماسة ويتوقد ثورة وحمية .

فعن نهضة العرب يقول :

«إن نهضة العرب مشكلة بالنسبة للاستعمار الذى يرى أن العرب

دواب سخروا لنقل الأحمال ، ومتى عرف الحيوان أو العبد حقه وواجبه ، فقد حطم راكبه أو قتله » .

وفى مقاله « رحم الله أودلف هتلر » . . يندد بالاستعمار الإنجليزى والفرنسى فى قوله :

« من هؤلاء الملقون بجثثهم على موارد المسلمين فى مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ، يخضمون أرزاقهم خضم الخنازير ، ويحتلون بلادهم احتلال الصراصير ؛ ويفسدون أخلاقهم إفساد الأرضة ؟ ومن هؤلاء الوالغون فى النيل الطهور من منبعه إلى مصبه ، يسممونه بالجراثيم ، ويكدرونه بالشوائب ، ويحرشون على أهله التماسيح والأفاعى ؟ ومن هؤلاء الجاثمون على صدور العرب فى فلسطين والعراق ، يبيحون العدو ذمارهم ، ويمنحون الغريب ديارهم ، ويتصرفون فى شئونهم تصرف القيم على السفيه ؟ » .

وعند عرض قضية مصر على عصبة الأمم يقول بعنوان « نحن والظالم أمام القضاء » ، وفى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ يقول :

« وأخيراً أدركت مصر الرسمية بعد خمس عشرة سنة من سنى المهانة والاستكانة ، أن « المعاهدة والاتفاقية » اللتين تربطانها بإنجلترا فى الشمال والجنوب إنما هما كلمتان من لغة السياسة حملها الاستعمار ما حمل الديمقراطية والحرية والإنسانية ، والسلام والعدل من معانى المخادعة والمصانعة والمراءاة ، فجعلها من أسماء الأضداد فى لغة الخلق » .

ويستمر الزيات فى صب ناره على العدو ، ويذكى الثورة فى نفوس

الشباب يشيد بنبل وبسالة الفدائيين ، ويأسى ويحزن لخسة ودناءة الرأسماليين والإقطاعيين .

وعندما تقوم الثورة فى عام ١٩٥٢ تفسح الرسالة صدرها ، لأحداث الثورة وظهور القائد المنتظر ، ولى عودة إلى هذا الجانب من أعماق الزيات التجديدية عند الحديث عن الأدب الثورى . .

أما الآن فأسير بالحديث إلى غايته . . وتظل الرسالة وفية على عهدها ، أمينة على رسالتها حتى العدد الألف (١٠٠٠) [١] الذى قال فيه الزيات :

« على أننا نطمع فى فضل الله أن يزيد الرسالة قوة فى عهد مصر الجديد ، وما تسأل الرسالة العون إلا من الله ، فقد عودها (جل شأنه) ألا تفزع إلا إليه ، فيما يحزب من أمر ، وما ينوب من مكروه . . » .

« ولعل السر فى بقائها إلى اليوم ، على ضعف وسيلتها ، وقلة حيلتها ، أنها عفت عن المال الحرام ، فلا تجد لها اسما فى (المصروفات السرية) ولا فعلا فى المهاترات الحزبية ، ولا حرفاً من الإعلانات اليهودية . . . » .

وتسير بها الأيام مستأنية متخاذلة ، فيخبو ضوؤها ، ويخفت صوتها ، ويعلن صاحبها احتجابها فى العدد الأخير (٢٣ فبراير ١٩٥٣) ويودعها أحرّ وداع وأقساه ، ويلقى عليها نظرة وداع ، مناجيا لها بقوله :

« كانت الرسالة منذ فحش غلاء الورق ، وفداحة نفقات الطبع تكفى نفسها أو تخسر قليلا ، وكنا نواجه هذه الحال بالتعفف والتقشف

---

(١) أول سبتمبر ١٩٥٢ .

والصبر ، فتستساغ مرارتها ، أو تخف ، فلما شاءت الضرائب ألا تعقل وأرادت الحكومة ألا تعلن ، وقررت وزارة التربية والتعليم ألا تشترك ، أخذت الخسارة تنمو وتطرد ، حتى بلغت فى العام المنصرم ألفا ومائة وعشرين جنيهاً ، فرأينا فى مطلع هذا العام أن نقوى الرسالة لتصمد ، وأن نعيد (الرواية) لتساعد ، فإذا الخسارة تتسع ، وبالطاقة تضيق ، وبالأزمة تشتد ، وبالأمل يضعف ، فلم نجد بدًّا من الإذعان لمشيئة القدر» .

ثم يسدل الستار على تلك النهاية المؤلمة ، قائلا فى تصبر :

« ولكن القضاء غالب ، والرجاء فى الله أولى ، ولكل أجل كتاب ، ولكل سافرة حجاب ولكل بداية نهاية . . » .

٣ – موضوعات الرسالة :

حددت الرسالة الطابع العام ، والإطار الذى تسلكه ، بأن كتب الزيات تحت اسمها « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون ، منذ صدور العدد الأول . .وعندما جمع مقالاته – التى نشرها بها على مدار السنوات العشرين من عمرها – فى كتاب وحى الرسالة قال تحت العنوان :

« فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص » .

ويبدو أن العنوان الأول كان موجزاً فى مبناه ، وإن كان محتوى الرسالة ينبئ عن موضوعات ودراسات لا يشملها العنوان . . وهو فى العنوان يضمن وحى الرسالة « النقد والسياسة والقصص » فى حين يهملها فى عنوان المجلة . . ولو جمعنا بين العنوانين فى إطار واحد لرأينا اتساع المبنى

والمحتوى ولحصلنا من ذلك على منهج متكامل أو قريب من التكامل فى موضوعات الرسالة .

فهى تضم أبواباً للأدب والنقد ، والسياسة ، والمجتمع والقصص ، والعلوم والفنون وفى أعدادها التى بلغت الخمسة والعشرين بعد الألف ، وإذا راجعنا المادة التحريرية التى اشتملت عليها ، فسوف نجد أشتاتاً من :

التحقيقات الصحفية ، والموضوعات السياسية ، والقومية ، والنقد الاجتماعى والأدبى . وإلى جانب القصة نجد الشعر ، ومع التحقيقات الصحفية نقرأ بريد الرسالة ، وتعليقات القراء وآراءهم ، وفى كثير من المجالات (كالفن والفلسفة والترجمة والتأليف والمعارك الأدبية) خاضت الرسالة معارك ، ووقفت مواقف بين مؤيد ومهاجم ، أو معارض أو مسالم ، وفى غاية المطاف تظفر بزاد أدبى علمى فنى فلسفى نقدى . . .إلخ ، وعلينا نحن أن نحدد لموضوعات الرسالة مجاريها ، ونجمع بين متفرقها ، ونرى إلى أى مدى وصل القول فيها .

فأبرز موضوعات الرسالة كانت حول الأبواب الرئيسية التالية :

١ الإسلام
٢ العروبة
٣ المجتمع
٤ الآداب (الشعر والنثر والنقد)
٥ العلم
٦ الفن
٧ القصة

وكانت تقوم إلى جانب هذه الأبواب ، أبواب أخرى متحررة تظهر

وتختفي حسب الحاجة والدفع ، فمثلا باب «من هنا وهناك» وباب «من روائع الشرق والغرب» أحياناً تختفي من بعض الأعداد ، وباب «البريد الأدبي» لم يظهر إلا بعد فترة من ظهور الرسالة . وباب «الأدب والفن في أسبوع» و «تعقيبات» لم تظهر إلا بعد عام ١٩٤٠ .

ويلاحظ بصفة عامة أن هناك تداخلا كبيراً بين أبواب الرسالة من ناحية الموضوع أو العرض أو الهدف . . ولم يسلم من هذا التداخل إلا القليل مثل افتتاحية العدد «للأستاذ الزيات» ، ومن برجنا العاجي «لتوفيق الحكيم» ، ومن وراء المنظار «لمحمود الخفيف» . . أو باب الشعر والقصة حتى باب الشعر شمل اسمه التغيير والتبديل من «طرائف الشعر» إلى «رسالة الشعر» .

وعلى العموم فإن الأبواب السبعة التي حددتها سوف أتناولها بشيء من التفصيل بعد الإجمال :

١ – الإسلام :

كان الإسلام قضية الرسالة الكبرى ، وكانت تعتبره أعلى قيم المجتمع وأسماها ، ولم يكن صاحب الرسالة يسجل هذا الهدف فيما سجل من أهداف ، إذ لم يجعله هدفاً مباشراً بل جعله منذ الوهلة الأولى أساساً للحياة العربية غنيًّا عن التحديد والمواضعة ، ولم تصدر الرسالة مجلة دينية متخصصة تقصر عملها على مبادئ الإسلام والدعوة إليه ، والدفاع عنه ، بل إن رسالة الإسلام انطلقت بين أبوابه تغترف منها . وتصب

فيها ، فنجد صورة الإسلام جلية ساحرة فيما يكتبه الزيات من افتتاحيات وفيما تقرض المجلة من الشعر ، فى صفحات المجلة يتردد صدى إسلامى على مدار السنة ، وفى مناسبات الأعياد والمواقف .

وهناك صورة إسلامية كبرى اتجهت عناية الرسالة لها اتجاهاً مباشراً أهمها :

١ – القيم الإسلامية من كتاب الله الكريم ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ – مظاهر العبقرية فى الحضارة الإسلامية .. كما جاءت بها مبادئه وتشريعاته .

٣ – الفلسفة الإسلامية خاصة ما يمس الجانب الإلهى ، ومذاهب علماء الكلام .

٤ – التعريف بالشخصيات والسير الإسلامية .

٥ – نقد وتحليل الكتب ذات الطابع الإسلامى كعبقرية محمد .

٦ – العدد السنوى الذى تصدره عن الهجرة . يشترك فى تحريره أكبر عدد من كتابها .

٧ – الاهتمام بالمشرق الإسلامى إلى جانب الاهتمام بالشرق كله . . كما فى الحديث عن باكستان التى تعتبر وحدة العالم الإسلامى أحد الأركان الأساسية التى تقوم عليها سياستها .

٨ – يضاف إلى ذلك اهتمامها بالأزهر ، فهو مناط نهوض الدين الإسلامى ورفعته . . وقد نشرت الرسالة مقالات شتى عن إصلاح

الأزهر وعن رسالته ، وعن دوره ، ورجاله ومركزه .

وإلى جانب هذه النواحى تدور مناقشات فكرية لها أهميتها فى تطوير الفكر الإسلامى ، ومعالجة قضايا الحضارة والتجديد . . كمقالات وحدة الوجود – والنثر الفنى فى القرآن – والمعنى السياسى للعيد فى الإسلام – التوفيق بين الدين والفلسفة .

ومن نافلة القول أن ألقى نظرة على عدد من أعداد الهجرة ، فأرى بعد النظرة العجلى مقالات وقصصاً ومسرحيات شعرية ونثرية ، وقضايا إنسانية وفلسفية ، وموضوعات اجتماعية حيوية تمس الجانب التطبيقى إلى جوار الجانب التعليمى : الزيات يكتب الافتتاحية مملوءة بالأغانى فياضة بالمشاعر ، وطه حسين يتحدث عن «يوم الشهداء» وأحمد أمين يتحدث عن «المسلمين أمس واليوم» والرافعى يقول «وحى الهجرة فى نفسى» ومحمد فريد أبو حديد يكتب «إشراق الهلال على الوادى . .» ومن بعدهم يكتب توفيق الحكيم وعبد الوهاب عزام . . وكثير غيرهم .

تحشد الأقلام ، وتزداد الصفحات ، ويربو عدد النسخ ، ويخرج صحفيًّا ممتازًا ويسبقه إعلان ، ويتلوه نقد وتحليل وتعليق يستمر أسابيع وشهوراً . .

وفى كل باب من الأبواب الإسلامية ، وفى كل مجال من مجالاتها السابقة تعمر صفحات المجلة بالمناقشات الهادفة ، والتحليلات العميقة ، والدراسات التى لا غنى عنها لكل مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأحياناً يشترك بعض المستشرقين بالرأى والفكر ، لتصحيح زيف

أصاب الإسلام على أيدى المغرضين ، أو لرد افتراءات زعمتها فئات لا تريد بالإسلام خيراً .

وعلى الجملة فإن الجانب الإسلامى فى المجلة يبدو جليًّا ساحراً فى كل عدد من أعداد المجلة أو فى المناسبات الإسلامية الكبرى .

٢ – العروبة :

منذ اليوم الأول دافعت المجلة – فيما دافعت – عن العروبة ، فى وقت ارتفع فيه صوت الفرعونية والتنديد بالعروبة وأبنائها ، وفى وقت عمل الاستعمار فيه على تمزيق أى فكرة أو خطوة تنحو منحى الوحدة ، وكان يشاع فى عام ١٩٣٢ إبان ظهور الرسالة : أن الوحدة العربية تساوى إضافة صفر إلى أصفار ليتكون المجموع صفراً . وشاعت – أيضاً – الدعوات إلى العامية للقضاء على الفصحى ، وإلى الشعوبية لينصرف كل شعب إلى إلّه ، وتقل الإيجابية بين أبناء العرب فيتباعدوا ويتباغضوا . . . ووسط هذه التيارات تقف الرسالة داعية مع الدعاة ، وترتكز فى دعواتها العربية على دعامتين هما :

١ – الدعوة إلى الوحدة السياسية

٢ – تأصيل وتعميق الثقافة العربية .

وعملت على استكتاب أدباء العروبة على اختلاف مستوياتهم ، كما رسمت سياستها على مدى الوطن العربى الكبير ، تكتب عن أوطانها ، وعن كل ما فيها من جهد أدبى وحضارى واجتماعى وسياسى . . وبالنظرة

السريعة فى الإعلان الذى أبرزته فى صفحاتها الأولى نقرأ :

الرسالة : تعبر بإخلاص عن روح النهضة المصرية .

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة لأبناء البلاد العربية .

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للأمة المصرية .

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد فى الآداب العربية .

الرسالة : تحيى فى النثر أساليب البلاغة العربية .

وفى السطر الأول من الإعلان يخص النهضة المصرية – التى هى جزء من الأمة العربية بلفتة معبرة وبعمل مخلص جاد . . وفى السطور (الثانى والثالث والرابع) يدعو إلى وحدة الثقافة وتسجيل ظواهر التجديد فيها وفى تصوير مظاهر عبقرية العرب . أما السطر الخامس . . فيخصصه للبلاغة العربية مؤصلا ومعمقاً لها .

وفى كل ما نشرته الرسالة يحاول الزيات :

الدفاع عن الثقافة العربية ، ويحاول إثراء الفكر العربى إلى جانب الفكر الإسلامى . ويحاول ربط الأمة العربية بطريق الثقافة . . ونشر فى عام ١٩٣٦ سلسلة مقالات عن الحياة الأدبية فى معظم البلدان العربية . . وفى عام ١٩٤٢ أعلنت أنها فى سبيل الوحدة العربية ووحدة ثقافتها ستصدر عدداً خاصًّا عن كل قطر عربى يعرّف به ، وبأهله ، وأعلنت أنها ستبدأ بعدد عن «العراق» ، وطلبت من أدباء كل قطر المعاونة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات ، ورحب الأدباء بهذه الدعوة ، ولكنها – ربما لأسباب فنية –

لم تستطع أن تفرد عدداً كاملا لهذه الدراسة ، واكتفت بأن تنشر فصولا عن الأدب والأدباء فى بعض البلدان العربية .

وكانت لا تدع مناسبة فيها تمجيد العروبة وآدابها ورجالاتها تمر دون إسهام فيها . . ففى ذكرى الأربعين للزعيم السورى « إبراهيم هنانو » تنشر قصيدة الشاعر أمجد الطرابلسى يقول فيها :

صعق الناس حسرة فأهابوا ... من صريع الحمى ؟ فقيل : الشهاب
بالسورية الشهيدة كم ذا ... يتهادى أبناؤها الأنجاب ! !
يهبط الكوكب المحجل منهم ... أويقد المهند القرضاب . . إلخ

والزيات حين تتأزم القضية العربية يقول تحت عنوان « رحم الله أدولف هتلر » .

« لو كان فى قدر الله أن يكون هتلر قاضى « نورمبرج » لما كان لفلسطين قضية ، ولا للسودان مشكلة ولا فى شمال أفريقية مأساة ، ولا فى الهند الصينية مجزرة . . »

وتفرد المجلة لقضية فلسطين جانباً ضخماً ، ودراسة متكاملة عن « نشأة الصهيونية وتطورها » وآثامها وشرورها . . وسياستها فى سلب الأرض العربية العزيزة . . . من ذلك ما يقوله الزيات :

« سلطوا على البلاد الجوع ، وأرسلوا من ورائه الذهب ، فكأنهم قالوا للعربى البائس : إما الوطن ولا حياة ، وإما الحياة ولا وطن . . »

« لك الله يافلسطين ! ! لشدّ ما تكابدين من عسف القوى ، وكيد الغنى ، وقسوة الظالم . . . »

ويقترح الوسائل لحل قضية فلسطين ، فيطالب بدعاية منظمة قوية فى

الأقطار العربية ، وعلى الأخص فى مصر . . ويهيب بالعرب الذين فطروا على نصرة الأخ ونجدة الصريخ ومعونة الضعيف ألا يهملوا حق فلسطين وأهلها .

وتستمر الدعوات الخالصة الثائرة فى معالجة قضية فلسطين من شتى أقطارها لا فى المحيط العربى فحسب بل فى المحيط الدولى .

« من أعجب الأمور أن تتعاون اليوم دول النصرانية على أن تجعل صانع الصليب سادناً لقبر المسيح وكاهناً لكنيسة القيامة » .

« ليست المسألة إذن مسألة دين أو جنس ، إنما هى مسألة استعمار وتنافس ، وليست مدافعة الصهيونيين عن قلب العروبة أمراً يعنى فلسطين وحدها ، أو المسلمين وحدهم ، إنما هو أمر يعنى الأقطار العربية جمعاء ، ويهم من العرب : المسلمين والمسيحيين على السواء . . » .

وتشتعل نار الحرب فى عام ١٩٤٨ فتناضل الرسالة مع المناضلين ، ويدخل الشعر المعركة ، كم يقف القلم إلى جانب الفكر تأييداً ومناصرة لحق العرب فى فلسطين .

ولم تقف بها الدعوة عند نهاية الحرب إلى المصير المؤلم ، بل ظلت على العهد بها تنادى بالتوحيد ليتمكن العرب من تحقيق انتصاراتهم .

وتنتقل دائرة العمل العربى إلى أفق أكبر وأرحب « أفق الوحدة » .

وفى الحقيقة أن الرسالة كانت تعكس بهذا العمل ضمير الأمة ووجدانها ، فى الوقت الذى لم يكن يسمح للساسة فيه أن يرفعوا أصواتهم بالدعوة لها ، فالزيات يدعو لاتحاد عربى على غرار الاتحاد الأمريكى على حين وقف رجال السياسة المصريون يفكرون فى تصريح وزير خارجية

أمريكا ، فى مجلس العموم البريطانى عام ١٩٤٣ ويطلقون مجرد أمنيات لاستطلاع آراء الحكومات العربية حول الوحدة .

وفى مستهل السنة نفسها (١٩٤٣) تتمنى الرسالة نفس الأمنية وعلى أى هيئة تكون وينطلق الشعراء والكتاب ، ويدين أكثرهم بالإسلام ، فى جبهة ممتدة من الشرق إلى الغرب تملأ رحاب أكبر منطقة فى الأرض .

وفى مطلع عام ١٩٥٢ يكتب الزيات مقالا بعنوان «الرسالة والدعوة» ومما قال فيه :

«الوحدة بين أمة العرب فى الشعور ، والهوى والرأى والأمل والغرض ، قد تمت بفضل الصحافة والأدب ، فهم يتألفون فى القرب ، ويتعاطفون فى البعد ، ويتناصفون فى الخلاف ، ويتحالفون فى الكريهة ، ويشد بعضهم بعضاً فى مجاهدة العادى ، والوحدة بين دولتهم توشك أن تبلغ التمام لولا ما يعوقها الحين بعد الحين من دسائس يلقيها شيطان خادع من الإنجليز ، فى صدر إنسان مخدوع من العرب ، ووسوسة الشيطان لا تبقى مع الإيمان ، وإيمان العرب بربهم وأنفسهم قواه الوحى حتى غلب على إيمانهم بأصنام السياسة ، وطواغيت الحكم ، فهيهات بعد اليوم أن يستكينوا لزعيم منهم ، أو يستنيموا لخصم مخاتل» .

٣ – المجتمع :

تتمثل قضية المجتمع فى أدب الزيات فى الصراع السياسى فى معارك الحرية ضد الاحتلال والرجعية يطالب بالجلاء والحرية السياسية ،

ويحارب الإقطاع رأس الصراع الاجتماعى ، ويحطم من سيطرة رأس المال ، ويحاول الإصلاح فى شتى المجالات .

وكان أدبه صدى لآمال أمته وآلامها ، وصورة صادقة لانفعالاتها وحياتها ؛ وفيما نشرته الرسالة منذ صدورها من مبادئ إصلاحية دليل هام على النزعة الإصلاحية الأصيلة التى رسخت فيه :

١ - : الأزمة الاقتصادية بسبب خفض أثمان القطن عام ١٩٣٣ يقول :

« تبدلت القرية غير القرية ، فلا ليلى تطمع فى زينة ، ولا أخوها يطمع إلى زواج ، ولا أبوها يفكر فى حج ، وأصبح الطريق الذاهب إلى المدينة يجىء بالمرابى والجابى والمحضر ، بعد أن كان يجىء بالشاعر والزامر والمغنى ، وغاضت بشاشة العيش فى وجوه الشباب ، فعادت القرية جديبة كالقفر ، كئيبة كالقبر ، لا يعقد فيها اجتماع لأنس . ولا يقام بها احتفال لعرس » .

٢ - كما حارب الامتيازات الأجنبية ، فى حديثه عن الامتيازات والدين ، وعرض الرسالة لأزمة بسبب نشر مقال « الامتيازات والدين » .

٣ - وكتب افتتاحية الرسالة بعنوان « النيل والأكروبول » ويوجه الحديث إلى المصرى قائلا :

« مالك تمشى فى أرضك خافت الصوت ، خافض الجناح ، ضارع الجنب ، كأن النيل يجرى لغيرك ، وكأن الآثار تتحدث إلى سواك ...

أن يقول :

« فى أى بلد من بلاد العالم اليوم يأتى محام أجنبى ليدافع عن مجرم من جنسه أجرم على هذا البلد ، فيجد له قضاء فى قلب قضاء هذا البلد ، وقانوناً بجانب قانون هذا البلد وقوة فوق قوة هذا البلد » .

٤ – ويكتب مرة أخرى بعنوان « الامتيازات والدين » :

حتى على حرم الدين ، وموئل علومه ، ومعقل آدابه ، تعتدى الامتيازات الأجنبية المشئومة » .

٥ – كما يذكر قصة الطالب الإفريقى الذى ضبط متلبساً بالغش فحرم الامتحان ، ولكنه هرع إلى دار المندوب السامى البريطانى ، فأمر المسئولين فى الأزهر بإعادة امتحانه ، وهاجم الزيات من يديرون خدهم للاحتلال .

٦ – وعندما تشتد أزمة الدستور يقول :

« لا تسمع من أى إنسان فى أى مكان إلا تذمراً على حالة المجتمع ، وتذمراً من نظم العيش وتضوراً من فساد الحكم ، وتحسراً على أخلاق الناس ، فما من سياسى تلقاه إلا رأيته لهيف الجوانح ، ذاهب القلب ، لا يملك عينه من الدمع ، ولا قلبه من الوجد ولا لسانه من هذه الشكاة ، أضاعوا استقلال البلاد ، ووأدوا دستور الأمة ونشروا بخطلهم على الشعب سوء النبأ » .

٧ – وعندما يتم التوقيع على معاهدة ١٩٣٦ تنشر الرسالة نص

المعاهدة كاملا ، ويكتب الزيات بعنوان « بعد المعاهدة » قائلا :

« أما اليوم فنريد أن نعيش كما يعيش الناس فى كل أمة ، وطن صريح الاستقلال قوى الشكيمة . لا سلطان لقوة خارجة عليه ، ولا سيادة للغة أجنبية فيه ولا استبداد لشركة أوربية به . وحرية مهذبة الأطراف ، مأمونة السفه ينعم الفرد فيها بنفسه ، ويأمن بها على رأيه ، ومجتمع راقى الطبقات ، مثقف النواحى ، يؤلف نافرة الخلق ، ويجمع شتيته الحب ، ويرفه حياته التعاون ويؤوبه إلى كنفه إله ، وعلم ، ودستور ذلك مانرتجيه فى الحياة الجديدة ، وذلك ما نبتغيه من الحكومة الرشيدة » .

٨ – ومنذ بداية الرسالة وهى تنافح عن الفقير ، تندد بالفقر ، وترجو الإصلاح يوجه حديثه إلى صاحب السعادة قائلا :

« ياصاحب السعادة لم ترضى أن أكون صاحب الشقاء ؟ أنا وأنت نبعتان من أيكة آدم نمتا فى ثرى النيل ، ولكن مغرسك لحسن حظك كان أقرب إلى الماء ، ومغرسى لسوء حظى كان أقرب إلى الصحراء ، فشبعت أنت وارتويت ، على قدر ما هزلت أنا وذويت » .

إلى أن يقول :

« ذلك ما يقوله فى مصر كل فلاح لكل باشا ، ولكن أغنياءها غلاظ الأجساد والأكباد فلا يصغون لمثل هذا العتاب السياسى » .

٩ – وعندما يقبل العيد على الفقير يقول :

« . . . وهل للفقير عيد ؟ »

وارحمتا للفقير قبيل العيد ، يرى متاجر الملابس واللعب والحلوى ، قد زينت واجهاتها البللورية بالعروض الجذابة . والنماذج المغرية ، فينظر إليها نظر الراغب المحروم ، ويذكر أطفاله الغارقين فى حنانه ، وهم يحلمون بالثوب الجديد ، واللعبة المسلية ، والأكلة الشهية ، والنزهة الممتعة . . » .

١٠ – وبعنوان « يا أذن الحى اسمعى » يردد :

« أوشكت صفحات الرسالة أن تحترق لطول ما أنّ عليها الفقر ، وزفر فيها الشقاء ، وأغنياؤنا – أحياهم الله – لا يسمعون ، لأن آذانهم مبطنة بالذهب الأصم ، ولا يشعرون لأن قلوبهم مغلفة بالورق البالى الصفيق » ، وتسعفه الحكمة المنصهرة فى مواقف الكفاح فيتمثلها قائلا :

« بال الحلى أطول من ليل الشجى ، وسمع النائم أثقل من هم الشقى ، ودنيا اللذة أشغل بمباهجها وملاهيها عن دنيا الألم » .

١١ – وشارك فى حل المشاكل الطبقية ، ورسم منهجاً لوزارة الشئون الاجتماعية يعالج فيه أهم قضايا الطبقة الكادحة ، ويرسم لها طريق الحياة .

١٢ – ومن تنبؤاته التى حققها القدر ، عندما تحدث عن ميثاق الجامعة العربية ، قال فى الزعيم المنتظر الذى سوف يخلص الأنام من آلامهم ، ويخلص الأمة من أعدائها حدد أو صاف ذلك الزعيم قبل أن يظهر فى حياتنا ظاهرة اجتماعية متكاملة :

« لن يقوى على تحقيق تلك غير رجل من رجال محمد ، هو الرجل الذى تنتظره العرب انتظارهم رجعة الربيع ، ثم لا ينفكون يحدقون النظر

فى الأفق القاتم يرجون أن تنشق الحجب عن ظهوره ، وبحسبنا اليوم أن نمهد أمامه الطريق ، ونهيئ له النفوس بهذه «الجامعة العربية» التى تتوافدون إلى عقد ميثاقها بالقاهرة» .

١٣– تحت عنوان «سبعون عاما» يقول :

«نحن سبعون عاما ثقالا طوالا ، لبثناها تحت نير الاحتلال ، نحرث وهو يسوق ونزرع وهو يحصد» .

١٤– وثار على الإقطاع وكتب منددا به ، فقال «ثوروا على الفقر قبل أن يثور» وكتب فى افتتاحية الرسالة «متى يغضب الفلاح ؟» وعندما يشتد الصراع بين الإنجليز والفدائيين يقول «فدائيون وأنانيون» . . . إلخ .

١٥– وإنصافاً للحقيقة والتاريخ فإن الرسالة لم تغفل آمال الأمة فى الحرية والاستقلال كما أنها لم تغفل مطالب التغيير الاجتماعى فى الكفاية والعدل . ومقاومة قطاع الإقطاع والاحتكار ، واتخذت من هذه القضية أساساً لها فى نضالها .

وحصيلة كل ما تقدم أن الرسالة وعت مطالب الأمة ، ونادت بها ، وعملت على حل بعضها بالطرق السليمة ، وتركت إصلاح الآخر لأولى الأمر من ذوى الكفايات .

٤ – الأدب والنقد :

الرسالة مجلة الأدب ما فى ذلك شك ، بل إن رسالتها هى رسالة

الأدب الرفيع ، تجمع بين سطورها أدق خلجات الأدباء ، وأروع نتاجهم ، وتتنوع فيها الفنون والموضوعات والأساليب ومن ثم غدت ميدان صراع ، ومدرسة جامعة لشتى فنون القول ، وأبوابها شاهدة على ذلك ، وأسلوب صاحبها أدب حيّ لم يستغلق عليه أسلوب ، ولم تلتو عليه الفكرة .

ومن فنون الأدب الشعر ، وقد نشرت الرسالة لناشئة الشعراء كما نشرت لكبرائها ، لتتيح لهم الفرصة للإبداع الفنى ، كما احتفلت بالتراث القديم والحديث على السواء .

فعلى سبيل المثال نشرت مختارات من شعر شوقى فى حياته ، وكذلك للشاعر المهجرى «إيليا أبو ماضى» بعنوان الشاعر والسلطان الجائر ومنها :

أمر السلطان بالشاعر يوماً فأتاه فى كساد حائل الصبغة واه جانباه

وقصيدته : لم تشتكى ؟ وفيها يقول :

أيهذا الشاكى وما بك داء كيف تغدو إذا عذرت عليلا . .
إن شر الجناة فى الأرض نفس تتوقى قبل الرحيل الرحيلا .

إلى أن يختتمها قائلاً :

كن جميلاً تر الوجود جميلاً .

كما ينشر لشعراء العروبة الشبان ومنهم أحمد عبد المجيد الغزالى وطاهر أبو فاشا والعوضى الوكيل . .

ولم يقف نشر الشعر على شعراء مصر ، بل فتح المجال لكل أديب

عربى شاب أو مخضرم ، ومن قصيدة لشاعر عراقى يدعى أحمد الصافى ، وعنوانها « الفلاح » :

رفقاً بنفسك أيها الفلاح تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
لك فى الصباح على عنائك عودة وعلى الطوى لك فى السماء رواح

ويندد بصراع الإقطاعيين وموقفهم منه فيحذره قائلاً :

يتنازعون على امتلاكك بينهم فلهم عليك تشاجر وصياح
كم دارت الأقداح بينهم ولم تملأ بغير دموعك الأقداح

ولم يكن الشعر المنشور محدد الغرض أو الإطار ، بل كان ينشر كما اتفق مادام قد نال الحظوة لدى صاحب الرسالة ، أو وافق هوى فى أنفس الناقدين . . . غير أنه مما يسترعى الانتباه أن الشعر فى أيامه الأولى كان يميل إلى الجنس والمرأة فى الغالب من ذلك قول بشارة الخورى فى قصيدته « ذقته مرتين » :

أتت هند تشكو إلى أمها فسبحان من جمع النيرين
قالت لها : إن هذا الضحى أتـــانى وقبلنى قبلتين
وفر ، فلما رآنى الدجى حبانى من شعره خصلتين

وتسير فى حديثها معبرة عما لاقته من الروض ، والغصن ، والورد ، والبحر . . وفى آخر القصيدة ترد الأم على ابنتها حوارها قائلة :

قالت : وقد ضحكت أمها وما ست من العجب فى بردتين
عرفتهم واحداً واحداً وذقت الذى ذقته مرتين

والقصيدة رمزية فى طابعها ، متأثرة بالفرنسية فى صياغتها ، وتحكى

التقاء الفكر الأوربى بالفكر العربى الحديث ، وتنحو منحى جديداً فى العربية . .

ولم يقف نشاط الرسالة عند حد النشر لشعراء العروبة فى أقطارها ، بل إن الزيات نفسه نشر فى العدد الأول قصيدتين من الأدب الغربى المترجم : أولاهما «الشاعر المحتضر» للامرتين ، والثانية «بيت الراعى» «لألفردى فنى» ولم تكن الترجمة وقفاً على الشعر الفرنسى فحسب ، بل نشرت مختارات من الأدب الإنجليزى . وخصصت باباً لنقد الشعر ، وباباً آخر للدراسات الشعرية وأبحاثها . كما اهتمت بدراسة الآداب الأوربية الحديثة كالرمزية والرومانسية والواقعية . .

وفسحت المجال للأدب المتحرر أو الخالى من قيود الوزن والقافية كالشعر المنثور وتركت للشاعر حرية الاختيار حتى فيما يكتب ، ولو كان ذلك مجافياً لطبع الزيات وأسلوبه ومذهبه فى الحياة ؛ من ذلك القصيدة التى نشرها إبراهيم محمد نجا فى العدد ٩٤٨ بعنوان «ليلة حمراء» يقول فى مطلعها :

قضيتها ليلة حمراء عاصفة   قضيت فيها لباناتى وأوطارى
دخلت مخدعها الوردى فاشتعلت   فى القلب نيران أشواقى وأفكارى
رأيتها فى رداء الليل فاتنة   سيان من جسمها المكسو والعارى

ويصور الشاعر نظراتها . . ونهدها ، ورغبتها الحمراء فى سفور وتبذل . . ثم يختمها قائلاً :

فنولينى الذى أبغيه من زمنى ،   ولا تخافى حديث العائب الزارى

لنناس فلسفة حمقاء جاهلة ولست أبصر فيهم غير ثوثار
فأذعنت، ثم لانت، ثم مافتئت حتى أنالت جناها كف ستار
فرحت أملأ عيني من مفاتنها وألمس الجسم منها لمس أوتار

ولست أدرى كيف نشرت هذه القصيدة دون أن يرى الزيات رأيه فيها ، فهى قصيدة فاضحة مفضوحة ، وتفصح عن تبذل واستهتار . . وربما يكون العذر للزيات فى أنه أراد أن يطلعنا على نماذج مما ينشر ، وله نظائر فى أوربا من أشعار «بودلير» صاحب كتاب «أزهار الشر» .

ومما يؤيد هذه النظرة أن الرسالة فتحت الباب أيضاً للشعر المرسل ، من ذلك ما يقوله «على أحمد باكثير» بعنوان «نموذج من الشعر الحى» فى العدد ٦٢٥ فى ٢٥ يونيو ١٩٤٥ ، يوجه الحديث فيها إلى فرنسا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية :

فواعجبا ! ! كيف لم تعصف بالدنى زلزلة ؟
كيف لم تهو فوق الورى شهب مرسلة ؟
يا لها مهزلة ! !
يا لها سورة مخجلة !
مثلت دورها أمة تدعى صلة أنها من كبار الدول .
سلمت للمغيرين أوطانها لتوارى فى سوريا وفى لبنان الخجل .
أمة ولت من وجه العدو فراراً .
من ضربته الأولى انهارت ككثيب الرمل انهيارا .
خاست بمواثيق أحلافها الباسلين .

الذين توافوا إلى أرضها منجدين . .

ثم خرجت ساجدة تحت أقدام أعدائها المعتدين .

ولعل فى نشرها لهذا اللون من الشعر ، أنها تجارى الأحداث ، وتجرى فى فلك الجديد وتستجيب لكل النوازع والرغبات ، وتعرض ما تعرض لا هرباً من التبعة ، بل إيماناً بحملها حتى تزداد حدة الصراع ، وتلتقى وجهات النظر على رأى وفكر جديدين ، ويحتدم الصراع وتكون له نتائج طيبة على الأدب والأدباء .

كما أعلنت عن مسابقات شعرية فى عام ١٩٣٥ وطلبت من الشعراء أن يؤلفوا قصيدة باللغة الفرنسية عنوانها : Daute «ارتياب» وحددت مطلعها بالفرنسية والعربية كالآتى :

A mie aux grands yeux daux, mon ame vaus appelle!
Le vent sauffle ce sair caprieieux, et lourd

صديقتى ! ! ذات العينين الكبيرتين الوديعتين ، روحى تناديك الريح هذا المساء ، تهب هوجاء ، شديدة الوطأة .

وأعلنت أن لجنة الفحص مكونة من الدكتور طه حسين ، وأحمد زكى ، والزيات ومصطفى عبد الرازق ، وفى العدد ٩١ بتاريخ ١ / ٤ / ١٩٣٥ نشرت نتيجة المسابقة وظهر أن عدد المتسابقين بلغ ٢٧ متسابقاً من مصر والبلاد العربية ، والجائزة الأولى لشاعر لم يذكر اسمه ، ولم يرمز إليه ، والثانية نالها الشاعر فخرى أبو السعود ، أما الثالثة فلشاعر دمشقى توقيعه (ا . ط) ونشرت الرسالة القصائد الفائزة . وأرى أن أوردها هنا

لتكون مرجعاً للدارس . . فالأولى مطلعها :

أصديقتى ذات العيو ن النجل قد ولى النهار
والريح هوجاء تهب هنا وليس لها قرار
ولها أنين ثـــــائر كالقلب عاوده ادكار

والثانية تقول فى مطلعها :

أصديقتى يا ربة الحدق العذا ب النجل ، روحى رددت نجواك
الريح فى هذا المساء عنيفة هوجاء ذات صدى باك

والثالثة أولها :

صـــديقتى ذات العيون العذاب روحى تناديك فهل تسمعين
جن جنون الريح هذا المساء واندفعت صخابة كالحنين

بالمقارنة السريعة نرى أن الأولى رشيقة فى مبناها ، يدخلها التحليل والتعليل ، وتربو على الأخريين بحسن السبك وحلاوة الموسيقى .

وإلى جانب هذا الشعر الغزل تفيض الرسالة بألوان من الشعر الوطنى عن أهم أحداث الأمة العربية كأحداث فلسطين ، وإلغاء المعاهدة وإعلان الكفاح على المستعمرين فى قناة السويس ، وعندما هبت ريح ثورة ٢٣ يوليو يستقبلها الشعر بأصدائه الناعمة عامراً بالفرحة والتهليل والتأييد ، من ذلك قول محمد عبد الغنى حسن بعنوان : « جيش وشعب » :

ألا قل للنيام كفى المنام إرادات الشعوب لها احترام
زمان الظلم والطغيان ولى وليس عليك يا زمن السلام

لكل رواية قامت ستار نعم . . ولكل مهزلة ختام

وفى ختامها يقول :

أيا أرض الكنانة قد تجلت لك الآفاق ، وانقشع الغمام
ولاحت فى السماء خيوط فجر له فى مطلع الشرق ابتسام
وخرّ على ثراك الطهر رجس وذابت موجة . . واندك هام
وكانت ثورة لك لم يخضب دم فيها ، ولم يضرب حسام
تولتها السواعد من رجال صناعتهم فعال لا كلام

وهكذا نرى أن الشعر انفتح أمامه المجال على مصراعيه ، بين التجديد والانطلاق . . وبين التبذل والجدية ، وبين الشباب والكهول ، وبين الشرق والغرب ، وبين مدارس العرب القديمة والحديثة . . منه المترجم والمؤلف ، منه المنثور والحر والمنظوم . . ومنه الوطنى الهادر ، والغنائى الحالم ، بل منه المعانى المحلقة فى أفق إنسانى ، والمعانى ذات البريق اللامع ، والبرق الخاطف ليس إلا . . أنماط وأشتات جمعتها الرسالة لتكون درساً وتذكرة .

وليتسع مجال التمحيص والنقد والتحليل ، ولتعلو كلمة النقد على صورة التقليد أو أمام سلطان الجديد . . ولتصارع الآراء ، وتتشعب الاتجاهات ، وفى آخر المطاف نصنع لحياتنا نمطاً فريداً ، أو وجهاً جديداً ، أو عملاً مدروساً ناضجاً .

وإلى جانب الشعر والنثر امتدت مدرسة النقد ، تعالج أهم قضايا الشعر وأحدث قضايا النثر ، وتفرق بين الغث والسمين ، وتصدر

أحكامها على الكثير من النصوص ، وعلى الجديد أو القديم من الاتجاهات ، ومن ذلك ما كتبه الزيات بعنوان النقد المزيف [1] :

«كان الأدباء فى مصر ، وفى غير مصر ينصرفون عن الإنشاء إلى النقد ، وأريد بالنقد هنا معناه العام ، أو مدلوله الأعم ، فإن النقد المنطقى بمعناه الأخص إنما هو ملكة فنية أصيلة ، وتربية أدبية طويلة . . وإن ما يطالعه القارئ فى الصحف العربية من حين إلى حين لا يدخل فى هذا الباب إلا كما يدخل المجون فى نطاق الجد أو العبث فى سياق المنطق ، فالرجل يقصد به العجز عن اللحاق بالقادرين ، فيقف نفسه موقف القائد الحصيف ، يلمز هذا ، ويتنادر على ذاك ، ويزعم أنه وحده المسيطر على ثمرات الذهن ، فيحكم بذوقه الخاص على هذه بالقبح ، وعلى تلك بالفجاجة» .

ويكتب أحمد أمين [2] مثيراً معانى أخرى فى نفسه تتصل بتاريخ النقد فى السنين الأخيرة منها : ما حدث فى تاريخ مصر أن جماعة تسلحوا بالشجاعة ، فأظهروا آراءهم فى صراحة تامة ولم يبالوا الرأى العام سواء فى ذلك بحوثهم أو نقدهم» . . ويقرر أحمد أمين :

«إن الرأى العام كان قوياً جارفاً ، فاستسلم المفكرون الصرحاء وفضلوا السلامة وتعلم الجيل اللاحق مع الجيل السابق ، فاختط خطته ، ونهج منهجه ، وبذلك اختنق النقد الأدبى فى جهره ، وأصبح الأدب

(١) العدد ١٥٠ فى ١٨ / ٥ / ١٩٣٦ .

(٢) العدد ١٥٢ من الرسالة .

مدرسة واحدة يختلف أفرادها اختلافاً طفيفاً . . »

ويقسم الأدباء إلى قسمين : قادة وهم الناضجون وقد تسالموا وتهادنوا ، والناشئون وهم يخشون من الأدباء الكبار ، ولما جامل الكبراء بعضهم بعضاً ، وخاف الناشئون من الكبراء ضاع النقد بين هؤلاء وهؤلاء .

ويرد الدكتور طه حسين على الدكتور أحمد أمين (١) ويناقشه فيما ذهب إليه من تعرض النقاد الصرحاء للصراع بين القديم والجديد وما أصابهم من أذى ثم يقف عند قوله :

« بأن هؤلاء النقاد الصرحاء قد لانوا ودانوا وآثروا العافية ، ومضوا مع الجمهور اقتداء الجيل الجديد بالجيل القديم ، ومن ثم أصبح النقد مصانعة ومتابعة الأدب تملقاً وتقليداً » ويرد عليه قائلاً :

« وهذا أيها الأخ العزيز هو الذى أخالفك فيه أشد الخلاف ، وأنكره عليك أعظم الإنكار ، يدفعنى إلى ذلك أمران : أحدهمـــا أن رأيك بعيد كل البعد عن أن يصور الحق ، والثانى أن رأيك يمسنى ، وأؤكد لك أنه يحفظنى كل الإحفاظ ويؤذينى كل الإيذاء » .

ثم يفند رأيه جزءاً جزءاً . . ويختتم مقاله « بأنه ليس السبيل على الذين أدوا واجبهم الأدبى كما استطاعوا ، وما زالوا يؤدونه كما يستطيعون ، وإنما السبيل على الذين يتاح لهم الهدوء ويستمتعون بالبال الرضى ، والحياة المستقيمة المطمئنة ، ثم لا ينقدون لأنهم لا يقرءون ، أولا ينقدون لأنهم

(١) العدد ١٥٣ من الرسالة ١٩٣٦/٦/٨ .

يقرءون ، ويشفقون إن أعلنوا آراءهم أن يتنكر لهم الناس ، وأن يسلقهم أصحاب الكتب بألسنة حداد» .

وفى العدد ١٥٤ يرد أحمد أمين على الدكتور طه . ويسهم الأستاذ توفيق الحكيم فى المعركة فيكتب مقالاً عنوانه «إلى الأستاذ أحمد أمين» . ويدخل الدكتور محمد حسين هيكل دائرة النقد موجهاً حديثه إلى الزيات[1] . . ويرد الزيات عليه أيضاً بعنوان «فى النقد أيضاً» وينضم إليهم فى العدد (١٥٨) محمد رفيق اللبابيدى ويرجع ضعف النقد إلى احتفال الناقد بشأن المنقود ، وإلى النقد العابر السطحى .

ومحمد فريد أبوحديد يكتب مقالاً بعنوان «عفواً أيها النقاد» ويتساءل فى مقاله عن قواعد النقد ومذاهبه ورسومه واصطلاحاته شأنها فى كل ذلك شأن الأشياء العلمية والأدبية التى لها أثر فى تطور العقليات والمعقولات ، ويدخل فى الدائرة معهم «إسماعيل مظهر»[2] ويرى أن العصر الذى نعيش فيه قوامه النقد ليس فى الأدب فقط ، ولكن فى العلم والفلسفة أيضاً . .

وتنتهى المعركة على يد كاتب فلسطينى من اللد اسمه «داود حمدان» نشر مقالاً بعنوان (فى النقد) بالعدد (١٦١) يرد فيه على تساؤل إسماعيل مظهر ، هل وضعنا للنقد قواعد يقوم عليها !؟ ويجيب على سؤاله قائلاً : إن قواعده هى قواعد العلم والفن والأدب المنقود ، وأنه لا يمكن وضع

(١) العدد ١٥٧ فى ١٩٣٦/٧/٦ .

(٢) العدد ١٦١ فى ١٩٣٦/٨/٣ .

قواعد خاصة للنقد من حيث هو فن خاص ، وإنما له شروط والشروط غير القواعد .

وظهرت على صفحات الرسالة معارك نقدية متعددة منها ما يمس الشعر ، وما يمس النثر وسأفرد لها فصلاً مستقلاً ، وأكتفى الآن بهذا النموذج ، وإلى جانبه أستعرض بعض رءوس الموضوعات النقدية التى أثيرت فى حينها :

« مدرسة الرافعى ومدرسة العقاد » و « حول الوحدة العربية » و « جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى » (جناية أحمد أمين على الأدب العربى) و (الصفاء والخصام) و « الأدب المهموس » و « الفن للفن والفن للمجتمع » و « الحروف اللاتينية والكتابة العربية » و « البلاغة العربية » . . . وغيرها كثير .

٥ – العلم :

فى بداية الأمر نظرت الرسالة إلى العلوم ، نظرة ثانوية حيث إنها تخصصت فى الآداب ، وأضافت إلى اهتماماتها قسماً خاصاً بالعلوم ، وحددت المجال الذى تسير فيه بالعنوان المتصدر صفحتها الأولى « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » .

على أنها لم تلبث أن خصصت للعلم باباً منذ العدد الثانى ، وجعلت عنوانه « باب العلوم » وبدأ الكتابة فيه الدكتور أحمد زكى أستاذ الكيمياء بكلية العلوم فى ذلك الوقت وكان مقاله تحت عنوان « بين الكأس

والمطاس » تحدث فيه عن الخمر من وجهة نظر الإسلام ، معرضاً بذكر بعض أشعار عن « أبى نواس » و « الأعشى » وينتقل إلى تركيبها ، ونسبة الكحول فيها ، وأثرها على الجسم والعقل ، وينصح بعدم تعاطيها .

وبعد حوالى ستة أشهر ، ينشر باب العلوم مقالاً آخر « للأستاذ السير آرثر طوسون » عن نشوء الكائنات الحية على وجه البسيطة ، ويتبعه مقال عن « الأقياتوغرافيا » أو « علم المحيطات » بقلم الدكتور حسين فوزى مدير إدارة أبحاث المصايد فى ذلك الوقت ، ثم تبعه الدكتور على مشرفة فى العدد الثانى والعشرين عن « الشمس فى منتصف الليل » أى الانقلاب الصيفى فى بلاد الشمال .

وينشط قسم العلوم بعد ذلك ، ويتغير اسمه إلى « رسالة العلم » وتعزز مادته وتتطور وتشمل المادة فى الكون ، والإشعاع الكونى ، والفضاء والفلك . . ثم ينتقل من الجزئى إلى الذرة . . وتتسع دائرة المادة العلمية فتشمل الحيوان والطبيعة والكيمياء على السواء ، وتظهر موضوعات « هجرة الأسماك » (العدد ٢٨٨) ثم موضوعات تتصل بالعلوم (كتحقيق صحفى عن مصلحة الكيمياء) .

وفى فترة الحرب العالمية الثانية ، إبان أزمة الورق ، يختفى هذا الباب ثم عاد فى عام ١٩٤٦ وفيه تظهر كتابات « فوزى الشتوى » عن الذرة ، واكتشاف مدام كورى للراديوم ، وحديث آخر عن أشعة اكس .

وإلى جانب ذلك أيضاً تنشر المقالات المترجمة عن قصة الميكروب ، والسرطان بعنوان : ماذا قال العلماء عن السرطان ؟ والترجمة كانت عن

المجلات العلمية الغربية وأهمها مجلة « باريس ماتش » الفرنسية .

كما فسحت الرسالة صدرها لقضية العلوم ضمن معاركها التى خاضتها ، ونشرت الكثير من المقالات والأبحاث الجديدة والطريفة مثل :

الميكروب والسرطان والذرة ، والأبحاث الزراعية والصناعية الهامة وعلى الرغم من أن المجلة التزمت الخط الأدبى منذ أيامها الأولى ، إلا أنها لم تبخل على قرائها بالغذاء العلمى فاعترفت منه ولكن على قلته ، وجهدها فى ذلك المضمار جهد المقل ، ولكنه اجتهاد ، ولكل مجتهد نصيب .

٦ – الفن :

اهتمت الرسالة من أول خطوة خطتها بالفن ، وأفردت له باباً أسمته « العالم المسرحى والسينمائى » وبعد مدة أضافت له باباً آخر يحمل اسم « رسالة الفن » وتحت هذين البابين نشرت الرسالة مقالات متفرقة عن الموضوعات الفنية المختلفة من موسيقى ورسم وتصوير . . إلى غير ذلك من الفنون الجميلة .

واستقل « باب العالم المسرحى والسينمائى » بعرض موضوعات ومشاكل المسرح والسينما ونقد الأفلام والفرق المسرحية ، والمسرحيات التى تعرضها ، وفى عام ١٩٣٩ عنيت بنشر سلسلة من المقالات عن النهضة المسرحية ، ونصيب الفرقة القومية منها .

وفى باب «الفن» نشرت الكثير من اللوحات الفنية والرسوم ، والرقص قديماً وحديثاً ، كلوحات الحرب ، والسلام ، وإلى جانب ذلك موضوعات فنية بحتة كتاريخ الفن ، وموضوعات تتصل بالفن من قريب «كالمرأة والفن» أو من بعيد «كالزعامة فن»

ومن بين الموضوعات التى تناولتها الرسالة فى مجالها الفنى ، موضوعات الفن الإسلامى التى اهتمت بنشر الكثير من اللوحات والآثار والزخرفة الإسلامية .

والفن بمفهومه العام يكاد يطغى على أبواب المجلة. فالأدب فن ، والشعر فن والموسيقى فن . . والرسم والنحت والتصوير فنون – وهذه كلها تعد البناء الهيكلى الضخم للرسالة ، حتى الطباعة والإخراج فن أجاده صاحب الرسالة واهتم بتجويده وتطويره ليخلق من الرسالة عملاً فنياً مؤثراً ومتأثراً .

٧ – القصة :

وللقصة فى الرسالة باع طويل ، يبدأ بميلادها فى فصل من كتاب «على هامش السيرة» للدكتور طه حسين ، وقصة للأستاذ محمود تيمور عنوانها «عفا الله» وفى العدد الثانى . . يكمل الدكتور طه حسين قصة «حفر زمزم» من كتابه على هامش السيرة . .

وفى العدد نفسه ينشر الزيات قصة عراقية عنوانها «صديق

الكلاب[1] » وقصة مترجمة عنوانها «مدام دى لوزى» لأناتول فرانس ، ولم يكتب اسم من ترجمها .

وتزداد عناية الرسالة بالقصة حين يقرر الزيات النهوض بها على النحو التالى :

١ – إنشاء مجلة الرواية لتكون أختاً لها ، ورافعة لواء الفن القصصى والتجديد له .

٢ – القصة القصيرة العربية من شتى أقطار الوطن العربى .

٣ – القصة القصيرة المترجمة عن الأدب العالمى .

٤ – فصول الرحلات والمشاهدات .

٥ – المسرحية على اختلاف أشكالها وضروبها .

وإلى جانب ذلك – أيضاً – موضوعات تتصل بالقصة من قريب أومن بعيد ، ومنها :

(ا) فصول عن « أديب » للدكتور طه حسين .

(ب) « يوم عصيب فى جبل المقطم » يحكى مغامرة علمية قام بها المؤلف فى الجبل .

(جـ) مترجمات من الأدب الروسى لعبد الحميد يونس .

(د) نشر البحوث عن القصة للمستشرق الإنجليزى « جب » وتُعد بحوث « جب » فتحاً جديداً فى نقد القصة المصرية ، والمؤثرات الغربية عليها ، وأسباب تأخرها ثم يتحدث عن قصة « زينب » للدكتور هيكل ،

(١) سبق الحديث عنها فى الفصل الخاص بالعراق .

تم قصة «إبراهيم الكاتب» للمازنى ، وقصة «ابن المملوك» لمحمد فريد أبو حديد .

(هـ) وتنشر بحوثاً أخرى عن القصة القصيرة فى الأدب الصينى ، وأحياناً تعمد إلى تلخيص بعض القصص كما فى قصة «ستشيتا» الأسبانيـــة ، ومن الملاحظ أن المجـــلة أهملت نشر القصص فى أيام الحرب العالمية الثانية ، وربما يرجع ذلك إلى أزمة الورق ، ففى عام ١٩٤٣ نشرت قصة واحدة هى «صديق همام» لتشيكوف الروسى ، ترجمة صلاح تهامى . ولم يلبث أن زال هذا الركود ، وعادت إلى سالف عهدها ونشرت «أربع قصص» دفعة واحدة عام ١٩٤٤ .

وأخذت العناية تزداد إلى درجة أن فكر الزيات فى إصدار مجلة «الرواية» نصف شهرية مؤقتاً ، وظلت على حالها — نصف شهرية إلى أن توقفت .

فى أول فبراير ١٩٣٧ صدر العدد الأول منها وقدم له الزيات موجهاً الحديث إلى عشاق الأدب والفن قائلاً عنها :

«ما هى إلا نفحة من الشعور الإنسانى الرهيف ، ولمعة من البيان الروحى المشرق تتلاقى عندها الأذواق السليمة ، وتتعارض عليها المشاعر الكريمة ، وتتآلف بها عبقرية الشرق ، وعبقرية الغرب ، والله وحده هو العليم بما تكابده فى سبيلها ، وفى سبيل أختها من العناء والجهد .

وفى سبيل الأدب كل أذى يحتمل ، وفى حب العربية كل بذل يعوض ، وفى خدمة الوطن كل صعب يهون» .

– ونشرت فى عددها الأول «ضوء القمر» لموباسان ترجمة الزيات .

– وبدأ الحكيم الكتابة فيها «يوميات نائب فى الأرياف» ، ومحمود تيمور قصة «خصام» .

– ونشر فيها الرواد الأوائل ، والشبان النابهون .

– ولم تعمر كثيراً ، فقد توقفت عن الصدور بعد العدد الخامس والستين .

– وتعد الابن البكر والأخير لمجلة الرسالة واندمجت فيها بعد أن فقدت القدرة على الاستقلال .

وكل ما كتبه الزيات فى الرسالة أو الرواية من قصص مؤلف أو مترجم جمعه فيما بعد ، وضمنه كتباً مستقلة ، أو نشره ضمن كتابه «وحى الرسالة» .

وكثير ممن أنجبتهم الرسالة أدوا دوراً هاماً فى حياتنا الأدبية المعاصرة ، ويعدون الآن روادًا تثرى بهم دولة الفن والأدب .

تلك أهم الأبواب التى عنيت بها الرسالة ، وهى على ما يبدو من خلال هذا العرض السريع متشابكة الأطراف ، متكاملة الهدف تدور فى فلك (الأدب والعلم والفن) وتجمع إلى الغاية التى تقصدها ، سد فراغ كانت تحسه الأمة فى فترة ما بين الثورتين (ثورة ١٩١٩ – ثورة ١٩٥٢) ، فصادفت نفوساً متعطشة ، وقلوباً طامحة ، وآمالاً عريضة تدفعها دفعاً ، وكان الزيات يحاول دائباً أن يجدد فى أسلوبها الفينة بعد الفينة ، ويصبغها بطابع التطور على ما يبدو فى مقدمتيه لكل من الرسالة والرواية .

وعند تقييم هذا الجهد ، سأحكم له أو عليه ، وسنرى إلى أى حد أوفى على الغاية ، وإلى أى وقفة قصّر عنها .

أشهر كتابها :

من العسير أن نحيط علماً بكل من كتب فى الرسالة ، أو ارتبط بها مدرسة فكرية أدبية لها منهجها ، وأسلوبها ، ورسالتها ، . . فقد كتب فيها الصفوة الممتازة من أئمة الأدب والفكر فى مصر والبلاد العربية . وكتب فيها تلاميذ شبان كانوا على أعتاب الأدب قصاداً حين مولدها . واشترك فى تحريرها نخبة ممن صاروا رواداً بعد أن تقدمت بهم الحياة .

وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر :

أولاً – كتاب وشعراء رواد :

طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، وعبد المنعم خلاف ، وعمر الدسوقى ، وإبراهيم عبد القادر المازنى ، وتوفيق الحكيم ، وزكى مبارك ، وأحمد أمين ، وإبراهيم عبده ، وأحمد رامى ، جميل صدقى الزهاوى ، أحمد زكى أبو شادى ، قدرى طوقان ، جبران خليل جبران ، محمود تيمور ، مصطفى عبد الرازق ، إيليا أبو ماضى ، محمد سعيد العريان ، أنور العطار ، محمد فريد أبو حديد ، عبد الحميد يونس ، محمد حسين هيكل . على محمود طه . محمد مندور . محمد عوض محمد . عبد الوهاب عزام . عبد الرحمن شكرى . مصطفى صادق الرافعى . . إلخ .

ثانياً – أدباء وشعراء تخرجوا فيها وقدمتهم لقرائها :

درينى خشبة ، أنور المعداوى ، عباس خضر ، محمود شاكر ، محمود الخفيف ، ثروت أباظه ، العوضى الوكيل ، طاهر أبوفاشا ؛ إبراهيم ناجى ، أحمد عبد المجيد الغزالى ، نجيب محفوظ وغيرهم . . .

ثالثاً : الأديبات والشاعرات ، باعثات الأدب النسائى :

الآنسة مىّ . سهير القلماوى ، أسماء فهمى ، بنت الشاطئ ، زينب الحكيم ، جميلة العلايلى ، وداد سكاكينى ؛ فدوى طوقان ، منيرة توفيق ، فتاة الفرات ، سنية الكيلانى . . . وغيرهن كثير .

ومن الملاحظ على كتابها :

١ – أن بعضهم التصق بها التصاقاً تاماً ظل حتى آخر أيامها . كالرافعى والمازنى .

٢ – وبعضهم الآخر ارتبط بها فى أيامها الأولى كالدكتور طه حسين ، ثم انصرف عنها إلى مجالات أخرى ، أو إلى رغائب شخصية .

٣ – وبعضهم لم يكتب فيها إلا بعد أن استوت على سوقها كالعقاد ، وظل ملازماً لها حتى احتجبت .

٤ – كان الزيات يسبق اسم الكاتب الكبير بلقب « الأستاذ » ، والناشئ بلقب « الأديب » . تحرياً للدقة ، وتجنباً للزلفى .

٥ – وبعض الكتاب كان يكتفى بتوقيع مستعار ، بناء على رغبته :

مثل : « الكاتب المجهول » للدكتور زكى مبارك .

و « أستاذ جليل » لمحمد إسعاف النشاشيبى .

و « د . خ » لدرينى خشبة .

و«م . ع . » لمحمد عبد الله عنان .

و«أ . ح . ز» للزيات .

٦ – كان للزيات دوره الرئيسى فى مراجعة المقالات وتصحيحها ، وأحياناً يتدخل فى الأسلوب إذا رأى أنه لا يستقيم فى صدق الأداء .

٧ – برزت فى الرسالة قضايا فكرية وأدبية سأتعرض بالحديث لها عند تقديم المعارك الأدبية ، ودور الزيات فيها . وطبعت رجالها بطابع يجسد أسلوب الرسالة واتجاهاتها ، ويجمعهم فى صف واحد مع الزيات فى الفكر والأسلوب والهدف .

٨ – ممن ارتبط بالرسالة من ميلادها إلى احتجابها :

(ا) أنور المعداوى (ب) عباس حسان خضر .

الأول كان موظفاً بإدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم ، وارتبط بزميله فى العمل الأستاذ عباس خضر ، وعن طريقه اتصل بالزيات ، واشترك فى تحرير باب «تعقيبات» بمرتب ثمانية جنيهات ، ارتفع إلى ١٢ جنيهاً . وظل بالرسالة إلى أن أوشكت على الاحتجاب .

– أما عباس خضر فقد اتصل بالزيات عام ١٩٣٦ وهو طالب فى «مدرسة دار العلوم» وكان يكتب فى الرسالة عن الشعر ، يتناول القصائد بالتحليل والنقد ، ولما تخرج فى دار العلوم اشتغل بالتدريس عام ١٩٤٠ وترك الرسالة ثم عاد إليها عام ١٩٤٧ ، وانتقل فى وظيفته إلى إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم وعرض عليه الزيات أن يعود للكتابة تحت عنوان

«الأدب والفن فى أسبوع» لقاء ٨ جنيهات ، فوافق ، وكان أول محرر لها يعمل بمرتب ثابت ، وبعد احتجابها تركها إلى جريدة الأهرام ثم إلى الأخبار.

٩ – أما فنان الرسالة فهو (رخا) فقد وضع على عاتقه تصميم صورها ، وصورة الغلاف وقام برسم أغلفة لها قبل استقرارها على الزخرفة الإسلامية التى اقتبسها من مجلة إسلامية كانت تصدر فى لندن ، وكان يرسم لها رسوماً كاريكاتورية ، وكان أجره غير ثابت يرتبط بالإنتاج ما أمكن.

١٠ – وكان الزيات وراء كل خطوة ، يرتب لها ، وينفذها ، ويتابعها ، ويحاول أن يجدد فى كل أموره ، وفى كل كتاباته.

١١ – وممن كتب للرسالة ، وعنها بعض المستشرقين أمثال «جب» و«بروكلمان» و«نللينو» و«جرمانوس» . . . وغيرهم . وساعدوا على إذكاء روح البحث والتطوير فى مضمون الفن وشكله.

المعارك الأدبية التى خاضتها الرسالة :

أرى أنه من الواجب على أن أتبع الرسالة بنبذة قصيرة تجمع المعارك الأدبية ، وتؤلف بينها طبقاً لما جرت به أحداثها على صفحات الرسالة ، لأنها تمثل حيوية الأدب والفكر ويقظة الأدباء والمفكرين ، وتدفع إلى التجديد والابتكار. وأهم تلك المعارك :

١ – الخصومة بين الحكيم وطه حسين على صفحات الرسالة والوادى ١٩٣٤ .

٢ – النقد بين أحمد أمين وطه حسين على صفحات الرسالة ١٩٣٦ .

٣ – مدرسة الرافعى ومدرسة الزيات على صفحات الرسالة ١٩٣٨ .

٤ – حول الوحدة العربية (ساطع الحصرى وطه حسين) على صفحات الرسالة ١٩٣٨ وبداية ١٩٣٩ .

٥ – جناية الأدب الجاهلى على العربى .

وجناية أحمد أمين على الأدب العربى على صفحاتِ الرسالة والثقافة ١٩٣٩ .

٦ – الصفاء والخصام .

(الحكيم وزكى مبارك والعقاد والزيات) على صفحات الرسالة ١٩٤٢ .

٧ – الأدب المهموس على صفحات الرسالة ١٩٤٣

٨ – الفن للفن والفن للمجتمع (الحكيم وأحمد أمين) على صفحات الرسالة والثقافة ١٩٤٤

٩ – الحروف اللاتينية والكتابة العربية على صفحات الرسالة ١٩٤٤ .

١٠ – البلاغة العربية على صفحات الرسالة ١٩٤٥ .

وقبل الخوض فى تفاصيل بعض هذه المعارك أشير إلى أنه لم تكن هذه المعارك هى الأولى والأخيرة التى جرت على صفحات الرسالة . وإنما هناك غيرها ، وتلك أهمها ، كما ان هناك فروقاً جوهرية بين الحوار والمناوشة والمعركة ، ولعل الأخيرة هى التى يستعد لها الأديب أتم استعداد ، وهى التى ترقى بالأدب وتعمل على تطويره أما الأخريان فدرجة الإيجابية فيهما أقل ، كما أن الفائدة المنوطة بهما أخف وأيسر .

أولاً : الخصومة بين الحكيم وطه حسين

(١٩٣٤)

بدأت شهرة توفيق الحكيم بنشر قصة «أهل الكهف» التى كتب عنها طه حسين يقرظها قبل أن يعرف صاحبها وفى ذلك يقول :

«إنها حادث ذو خطر ليس فى الأدب المصرى وحده ، بل فى الأدب العربى كله ، ووصفها بأنها فتحت باباً جديداً فى الأدب العربى» .

ثم التقيا بشخصيهما وبأدبهما على صفحات الرسالة ، «ويشكر طه حسين أهل الكهف الذين قادوه إلى ذلك» .

وتبدأ قصة الخصام بينهما عندما نشر الدكتور طه حسين نقداً لقصة «شهر زاد» بعنوان (الأدب الخائر قصة تمثيلية للأستاذ توفيق الحكيم) ونشرها فى الوادى ثم نقلتها الرسالة وقال فى مطلع النقد «لم يكتبها بعد ، ولست أدرى أيريد أن يكتبها أم لا ؟ ولكن الشىء الذى لا شك فيه هو أنه مثلها ، ومثلها تمثيلاً رائعاً» .

ثم يمضى قائلاً :

«أما الفصل الأول من هذه القصة كما كانت فيقع فى العام الماضى ،

فى أوائل الربيع فى حجرة من حجرات البيت الذى كنت أسكنه فى هليوبوليس ، إذ يقبل علىّ صديقان يحبان الأدب ، لأنهما أديبان ويعجبان بالأستاذ توفيق الحكيم لأنه أديب ، وهما يتحدثان إلىّ عن هذا الأستاذ الذى لم أعرفه ، ولا سمعت من حديثه شيئاً ، فيثنيان عليه بما هو أهله ، أو بما هو أهل لأكثر منه ، ثم يدفعان إلىّ كتاباً وضعه الأستاذ توفيق الحكيم ، وكان يريد أن يهديه إلىّ لولا أنه لا يعرفنى ؛ ولا يريد أن يلقانى حتى أقرأ كتابه وأكوّن لنفسى رأياً فيه ، ثم يقصان على الكثير من أطواره الغريبة حتى يثيرا فى نفسى الشوق إلى لقائه ، وإلى النظر فى كتابه ، فإذا انصرفا أقبل صديق ثالث ، فلا أكاد أحدثه بما كان من أمر الصديقين حتى يثنى على الكاتب ، ويثنى على الكتاب ، ويزعم لى أنه قرأ الكتاب مخطوطاً قبل أن ينشره .

فإذا كان الفصل الثانى فقد أخذت أقرأ فى الكتاب فأرضى عنه ثم أعجب به ، ثم أكتب عنه فصلاً فى الرسالة ، وما يكاد يلقى الستار على هذا الفصل ، ويستريح النظارة فى وقت الراحة بين الفصول حتى أتلقى رسالة برقية ملؤها الشكر والعرفان ، ومصدرها الأستاذ توفيق الحكيم . .

ويكون فصل ثالث ، وإذا بالأستاذ توفيق الحكيم قد سعى إلىّ من إقليمه الذى يعمل فيه وهو يشكر لى تشجيعى له ، ويغلو فى هذا الشكر ثم يلقى أموره الأدبية كلها لى ، ويطلب منى أن أكون مرشداً أو حامياً ، فأقبل منه هذا كله سعيداً به مبتهجاً له ، وأتحدث إلى الأستاذ حديث الصديق المحب المعجب . . وليتكرر هذا المنظر مرات . .

ويكرر الدكتور طه حسين حديثه عن المناظر التى تصور تطور العلاقة بينهما ، واقترح بأن يقدم بنفسه الطبعة الثانية من أهل الكهف ، ثم يتعجل الحكيم وينشر الطبعة الثانية دون المقدمة ، ثم اعتذر له عن ذلك فى الخطاب الذى كتبه إليه بالفرنسية .

وينشر الدكتور الكتاب بالفرنسية مع ترجمته إلى العربية ، ويتحدث عن نقده لكتاب شهر زاد وكتابة الحكيم برسالة جافة إليه يطلب فيها أن يصحح موقفه أمام الناس ، وإلا اضطر إلى أن يتولى ذلك بنفسه ، والدكتور طه ينشر الرسالة ويرد عليها بما يفهم منه أن الحكيم يخشى على وظيفته من صداقة الدكتور طه الذى كان مغضوباً عليه من الحكومة إذ ذاك فيقول :

« أؤكد لصديقى توفيق أنى لم أنشر كتابه هذا إلا تصحيحاً لموقفه أمام رؤسائه ، وأمام نفسه فيعلم رؤساؤه منذ اليوم أنه قد أساء إلىّ عمداً ، وفى غير ما يبيح الإساءة ، وأنه قد قطع ما بينه وبينى من صلة ، وأنه قد سجل هذه القطيعة فى كتاب ، وأنى قد سجلت هذه القطيعة فى صحيفة سيارة ليشيع أمرها بين الناس ، وأظن أن رؤساءه منذ اليوم سيرفقون به ، ويعطفون عليه ، ويحسنون الرأى فيه ، وأظن أنه سيحس منهم ذلك فيطمئن على منصبه ، ويستريح إلى رضا رؤسائه ، ويبتسم له الأمل والمستقبل القريب والبعيد » .

وفى العدد التالى يكتب توفيق الحكيم فى الرسالة (العدد ٥٢ بتاريخ ٢ / ٧ / ١٩٣٤) تحت عنوان « خصومة » فيذكر أنه بعث فى أول النهار

برسالة إلى الدكتور طه حسين (الرسالة التى يطالبه فيها بتصحيح موقفه أمام الناس) ثم عاد إلى بيته آخر النهار فوجد أسطوانات بتهوفن التى كان قد استعارها منه الدكتور طه حسين مردودة إليه ، فعلم أنها القطيعة ، ويصور توفيق الحكيم ألمه العميق لقطيعة الدكتور له ، ثم يصف ما كتبه بأنه قصة تمثيلية ، وتعد آية فى الروعة والإبداع ، ويقول :

« إن أغلب الظن أن الدكتور قد أصر على نشرها لأنه يعلم أنه كتب شيئاً جميلاً ، ثم يبين الحكيم خصومته مع الدكتور طه قائلاً [1] .

« فهو قد استاء منى إذ عارضته فى بعض آرائه ، ولقد استاء منى كذلك يوم أخرجت الطبعة الثانية لأهل الكهف بغير مقدمة . . إن الحقيقة لا تعدو أنى شخص بسيط لا أمقت شيئاً فى الأدب مثل المقدمات ، وأنى روح حرّ يأبى أن يقيد نصوصه بتفسيرات . . أعتقد أن خير هدية أهديها صديقى العزيز على » هى « الحرية » وقد بلغ من إخلاصى فى صداقتى لطه حسين أن أعطيته حريتى ، فهو لن ينسى أنى ما أتصرف فى عمل أدبى بغير رأيه ، على أنى أحب من جهة أخرى أن أستعير بعض هذه الحرية أحياناً لأناقشه فى فكرة من الفكر ، أو أحاوره فى مسألة ، وأنا كما يعلم الدكتور ذو طبيعة لا تسير على نظام .

إنى أعطى كثيراً ثم آخذ فجأة . . ثم أعود فأرد ما أخذت ، وعلى صديقى أن يكون رحب الصدر ، غير أن الدكتور لم يعرفنى حق المعرفة ،

---

(١) العدد ٥٣ بتاريخ ١٩٣٤/٧/٩ .

وأراه يأخذ بعض تصرفاتى على سبيل الجد ، حيث لا ينبغى أن تؤخذ فى سبيل الجد .

وبعد فيا صديقى الدكتور أنا محزون حقًّا ، فقد فكرت فإذا خطيئتى بديهية ، وكان يجب على الأقل أن أستشيرك قبل أن أبعث لك بتلك الرسالة . . فماذا ترى فى موقفى منك ؟

إليك الآن ما تمت عزيمتى عليه (إذا احتفظت بغضبك علىّ فسأعرض عن كل حياة أدبية) . ونشرت الرسالة تحت مقال «خصومة» بقلم الحكيم تعليقاً للزيات يقول فيه :

«فقلنا فى العدد الماضى عن «الوادى» ما سماه صديقنا الدكتور طه قصة تمثيلية للأستاذ توفيق الحكيم ، لأن الرسالة كانت مسرحاً لهذه الرواية ، فمن حق قرائها الذين لا يصل إليهم الوادى أن يشهدوا فصلها الأخير . . » ويضيف الزيات معاتباً :

«ما هذا الذى نشره فى الوادى صديقى طه وسماه عتاباً ، فلعله من الأمور التى تسمى بغير أسمائها وتجرى على غير أوضاعها ، فى هذا العهد العجيب الذى استغل الناس فيه كل شىء وحتى حياء الحيى ووفاء الوفى ، واتساع الصديق . . . » .

وكان مقال «خصومة» الذى نشرته الوادى بجانبه مقال للدكتور طه حسين بعنوان «أخلاق الأدباء» يبين انتهاء الخلاف بينه وبين الحكيم ، فلما أعادت الرسالة نشر الخصومة ، تصور الدكتور طه أن صاحبها يستغل المعركة فهاجم الزيات تحت عنوان «أخلاق بعض الأدباء» .

ورد عليه الزيات فى الرسالة تحت عنوان «بين أسلوبين» يشرح أطراف الموضوع ، ويبين ما التبس من وقائعه ، ويقول :

«إن ما دفعه لنشر مقال الدكتور طه خصومة الحكيم ، إن هذين المقالين قد نشرا ، فأصبحا من حق الجمهور والتاريخ ، وإن الرسالة كانت مسرحاً لهذه الرواية ، فأصبح من حق قرائها أن يشهدوا فصلها الأخير ، ولأنها سجل لألوان الأدب الحديث ، فمن حق الأدب أن تسجل فى تاريخه ما يقع بين رجاله من الخلاف الجدى كاملاً غير منقوص . . . » .

ويختم الزيات مقاله بعتاب رقيق للدكتور طه . .

ثانيا : النقد

بين أحمد أمين وطه حسين (الرسالة عام ١٩٣٦)

كتب الزيات فى العدد (١٥٠) بتاريخ ١٩٣٦/٥/١٨ مقالا بعنوان : (النقد المزيف) (١)

ويسهم الحكيم فى هذه المعركة فيكتب مقالا بعنوان «إلى الأستاذ أحمد أمين» :

«يا صديقى العزيز ! ! أحقيقة أذكر بعد قراءة فصلك الأخير فى (الرسالة) أنك كنت عازماً على نقد كتابى «محمد» فما الذى منعك ؟

(١) العدد ١٥٢ بالافتتاحية .

وأذكر أيضا أنك أفضيت إلىّ « بخوفك من أن يسىء رجال الدين فهم مرادك فأحتار أنا بذلك . وهى عاطفة نبيلة حمدتها لك ، على أنى فيما أذكر أيضاً أنى قد شجعتك على المضى فى نقدك وهو فى جملته لا يؤذينى . . » .

ومضى فى رسالته قائلا :

فالناقد الذى يحترم شخصى ويهدم عملى لا يغضبنى ، لأنى أعلم أن الأديب لا يهدمه النقد ، فهو كائن ممتاز لا يهدم ، ولا يقبض إلا بإذنه ، ولا يقضى عليه إلا بإرادته ، إن الأديب لا يموت مقتولاً بل يموت منتحراً ، ومع ذلك فإنى لا أحب للمؤلفين أن يغضبوا على أى حال ، فإن الغضب علامة الضعف الآدمى ، ولا شىء فى الوجود أقوى من الابتسامة . . ولكن من ذا الذى أعطى القدرة على الابتسام الصافى الجميل فى كل موقف وفى كل حين ؟ أهو الجبار وحده ؟ ألا ترى معى أن الجبروت إنما هو الصفاء ؟ (إذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابتسم للقدر إذا بطش بك ، ولا تبطش بأحد) تلك كلمة لعمر الخيام جعلتها فى رأس كتابى (من الشرق) الذى لم أكتب منه فى سنوات ثلاث أكثر من ثلاثة فصول ، وإنك لتعجب إذا قلت لك إن هذا البطء أو هذا العجز مرجعه علة واحدة ، قد انكشفت لبصيرتى آخر الأمر : عدم استكمال تلك الصفة العليا التى يرتديها بعض رهبان الفكر نرتدى المسوح : الصفاء .

إن كنت من رأيى فى كل هذا ، فإن لى عندك حاجة : أن تنشر

معى تلك الابتسامة بين الأدباء فإن الأدب شيء جميل ، هو جنة لا صخب فيها ، وهو معبد لا تدخله الأحقاد . . » .

وفى العدد نفسه يوجه الدكتور محمد حسين هيكل مقالة إلى الزيات وبنفس العنوان « فى النقد » :

« إن الموضوع الذى أثاره الزيات موضوع صحفى ناجح » ثم يعلل انصرافه عنه بانشغاله فى كتابة السيرة النبوية ، ويعد انصرافه عن النقد أمراً طبيعيًّا ، لأن الكتاب يبدءون به ثم ينصرفون عنه قياساً على ما هو حاصل فى أوربا فى تلك الفترة .

ويرى الدكتور هيكل أن اللوم يجب أن يوجه إلى الشباب أولا لإهمالهم النقد ، ثم بعد ذلك إلى الساسة الذين يملكون تهذيبه ، والأساتذة المعلمين الذين عليهم تثقيفه ، ويقول :

« إن الأستاذ أحمد أمين إذا التمس شباباً حراً يؤمن بالثورة فإننى أضمن لك (الزيات) عودة النقد إلى نهضته وفتوته .

ويرد الزيات على الدكتور هيكل قائلا [1] :

« أخى الدكتور هيكل ! ! كان للفصل الذى كتبته منذ أسابيع فى « النقد المزيف » أثران مختلفان ، أثر ترضيته أنت فسميته نجاحاً صحفياً ، لأنه أثار حواراً طريفاً بين صديقين من كبار الكتاب فى مصر ، فدعواك بما شقفا منه إلى المشاركة فيه ، وأثر سخطته أنا فسميته مصاباً أدبياً لأنه ألب على كثيراً من طوائش الأفهام فى مصر وفى غير مصر ،

(١) الرسالة العدد ١٥٧ فى ٦ / ٧ / ١٩٣٦ .

ففريق ظن أننى عنيته بهذا المقال ، كأنه لمح فى نفسه آثار تلك العيوب فاتهم ثم حكم ثم غضب لأننى قلت الواقع وقال الحق ثم حاول بهذا الغضب أن يستفزنى إلى المسافهة ، وفريق زعم أننى غمطت مدارك الشباب فاستعجزتهم عن النقد ، ثم جعلوا رأيك فى ذلك نقيض رأيى ، ومضوا يتعززون به ويدافعون عنه وليس منا هجوم ، ويدافعون وليس بيننا قضية » .

ويعارض الزيات رأى هيكل فيقول :

« أنا أفهم أنك تنصرف عن النقد إلى معالجة السيرة النبوية ، بهذا التحليل المنطقى البارع لأنه أجدى على الناس ، وأعود على الأدب ، وأجدر بالكاتب المرسل ، ولكن لا أفهم أن يكون انصرافك عن النقد نتيجة محتومة لانصراف الشباب عنك » .

ويرميه بالتناقض مع نفسه فيقول له :

« إن نقد الأثر الأدبى يدل على علوّ كعب فى العلم أو فى الثقافة أو فى التهذيب ، ويرجع الزيات منشأ الخلاف إلى أن الدكتور هيكل يسمى هذا التمرد نقداً . . » والزيات يرى أن النقد وفوضى النقد لا يرجعان إلى الشيب أو إلى الشباب ، وإنما يرجعان إلى تهريج الصحف وكسل الكتاب . .

وفى العدد (١٥٨) يدخل المعركة محمد رفيق اللبابيدى فيرجع ضعف النقد إلى احتفال الناقد بشأن المنقود ، وإلى النقد العابر السطحى .

ويكتب محمد فريد أبو حديد مقالا بعنوان «عفواً أيها النقاد [1]» يبدؤه بمداعبة لاذعة يناقش الأدباء فيها مناقشة جادة يقول فيها :

«إذا أراد الأستاذ (أحمد أمين) أن يستمر التأليف على نهضة كان عليه أن يترك النقد نائماً ولا يوقظه ، وبعد هذا وذاك هل وضعنا للنقد قواعد يقوم عليها هيكله وتشيد عليها أركانه ؟ وألنا فى النقد مذاهب مقررة ينتجها الناقدون ؟ وهل لنا فى النقد قواعد تحدد للنقد حدوده وترسم تخومه ، وتعين اصطلاحاته ، شأن كل الأشياء العلمية والأدبية التى لها أثر فى تطور العقليات والمعقولات .

كلا ! ! ليس لنا فى النقد مذاهب ، وإنما اتبعنا إلى الآن فى النقد طريقة ميزانها الذوق والشعور ، وهى طريقة إن مال ميزانها نحو اليمين قيد شعرة كانت إفراطاً فى المدح والتفريط وإن مالت نحو الشمال شعرة كانت تقريظاً فى كل ما يقتضى النقد من حكمة فى تقويم الآثار الأدبية بميزان صادق الدلالة على قيمة ما فى كفتيه» .

ثم يكتب إسماعيل مظهر مقالا بعنوان «فى النقد الأدبى» [2] وفيه يقول :

«إن العصر الذهبى تعيش فيه قوامة النقد ليس فى الأدب فقط . . ولكن فى العلم والفلسفة أيضاً . . وإن الاهتمام بالنقد الأدبى يرجع إلى أن عقيدتنا لم تتكون بعد من الناحية الفلسفية أو العلمية ، ثم يتساءل :

---

(١) الرسالة العدد ١٦٠ .

(٢) الرسالة العدد ١٦١ .

للنقد موانع ؟ أيمنعنا من النقد عوامل خلقية ؟ أو تقليدية ؟ أو اقتصادية ؟ أو سياسية ؟ أو نفسية ؟ وهل يمكن أن يفلت النقد من أثر هذه العوامل ؟» . . ثم يقول :

«وبعد أن أطلت النظر فى كل سؤال من هذه الأسئلة بل إن شئت فقل : فى كل معضلة من هذه المعضلات ، حكمت بأن هذه الموانع كائنة ، وأن بعضها أقوى أثراً من بعض ، وأن الناقد لن يفلت من دائرتها ، أو يخرج من أقطار الأرض منبوذاً مدحوراً» .

وتختتم معركة النقد بمقال من اللد بفلسطين وبتوقيع «داود حمدان» بعنوان : «فى النقد» يرد فيه على تساؤل الدكتور إسماعيل مظهر . . قائلا : إن قواعد النقد هى قواعد العلم والأدب المنقود ، وأنه لا يمكن وضع قواعد خاصة للنقد من حيث هو فن خاص ، وإنما له شروط والشروط غير القواعد ، تلك خلاصة المعركة الثانية ، وهى على مايبدو اتسعت دائرتها ، وحركت أشجاناً ، وطرقها غير الدكتور طه حسين وأحمد أمين الكثيرون ممن لهم صلة وثيقة بالأدب ، وآتت أكلها وفتحت المجال لمناقشات مثمرة انتهت إلى ضرورة تقعيد القواعد ، ووضع الضوابط والإسهام بالفكر والفن ، والقول والفعل لترتقى دولة الأدب ، ولتعلو كلمة النقد .

ثالثاً : بين العقاد والرافعى

(الرسالة ١٩٣٨)

نشرت الرسالة سلسلة من المقالات عن حياة الرافعى تحت عنوان للأدب والتاريخ بقلم «سعيد العريان» وبعد نشر المقال السابع والعشرين ، بدأت المعركة بنشر مقالات بعنوان «آراء حرة» وكانت طلائع معركة بين العقاد والرافعى .

وكان هناك خلاف فكرى بين كل منهما ، كانت ثمرته كتاب «على السفود» الذى ملأه الرافعى بالطعن الفاحش والهجوم العنيف ضد العقاد ، وبرغم وفاة الرافعى ، وعدم اشتراك العقاد فى هذه المعركة إلا أنها استمرت على صفحات الرسالة ما يقرب من سبعة شهور ، واشترك فيها عدد كبير من الأدباء ، بين معارض ومؤيد .

قال بعضهم عن الرافعى إنه يشك فى إنسانيته ، ثم عدل حكمه فأنكر عليه الطبع ، وقال إن الرافعى كان قوى الذهن ، ولكنه كان مغلقاً من ناحية الطبع ، وأرجع ذلك إلى الخلاف بينه وبين العقاد ، المتفتح النفس ، الريان القلب .

واشترك فى الرد على من نقد الرافعى الأستاذ محمود محمد شاكر ،

واتهمه بأنه لم يرع حق الحى ولا حق الميت ؛ وقال : إن الرافعى يتفوق على العقاد فى الخيال ، وفى التعبير ، وكلاهما يحتفل بالمعنى أكبر احتفال ، غير أن الرافعى عنده نور يهدى به ليس عند العقاد ، ويقول : إنما الاختلاف بينهما فى الروح : هما من حيث الروح مختلفان ، وعندك للحكم بين الروحين معيار صدق لا يخطئ ، هو معيار الدين ، ومعيار الخلق الفاضل .

ويفضل بعضهم الرافعى فى الدين والخلق ، وفند بعضهم الكتب ، وانبرى للدفاع عنها ووصل الأمر فى هذه المعركة إلى حد التجريح ، حتى إن على الطنطاوى يكتب للزيات قائلا :

لماذا تنشر الرسالة هذه المقالات ؟ والحقيقة لا ظل لها فى هذه المقالات هل هى من أجل الأستاذ العقاد ؟ ويرد عليه الزيات بقوله :

« إن من مبادئ الرسالة أن تكون صورة صادقة لأدب العصر ، فلا تسجل مذهباً على مذهب ولا تتوخى أسلوباً دون أسلوب ، ومعارك النقد ظاهرة مألوفة عفت الرسالة عنها حيناً ثم رأت أن تسجل هذه المعركة لأن أدب الرافعى وأدب العقاد يمثلان وجهتى ثقافة فى إطار العروبة . . ومن حسن القول أن يتكلم الناظر فى الأدب بلسان الأديب يعتقد أن أدب الرجل شىء آخر غير شخصه ، فلا ينبغى أن يدخل الناقد فى حسابه لا الحياة والموت ، ولا الصداقة والعداوة .

رابعا : حول الوحدة العربية

بين ساطع الحصرى والدكتور طه حسين
أواخر عام ١٩٣٨ وأوائل ١٩٣٩

بدأت هذه المعركة بحديث نشرته مجلة الكشوف البيروتية للدكتور طه حسين ، جرى بينه وبين بعض الشبان العرب على ظهر باخرة فى البحر الأبيض قال فيه : «إن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين» وإنها ستبقى كذلك بل يجب أن تبقى وتقوى .

إن المصرى مصرى قبل كل شىء ، قبل أن يتنازل عن مصريته ، مهما انقلبت الظروف ، ولا تصدقوا ما يقوله بعض المصريين من أنهم يعملون للعربية ، فالفرعونية متأصلة فى نفوسهم ، وستبقى كذلك ، إن الأكثرية الساحقة بين المصريين لا تمت بصلة إلى الدم العربى ، بل تتصل مباشرة بالمصريين القدماء . إن تاريخ مصر مستقل عن أى بلد آخر ، ولو كان للغة وزن فى تقرير مصير الأمم لما كانت بلجيكا ولا سويسرا ولا البرازيل ولا البرتغال» .

وتصدى لآرائه الأستاذ ساطع الحصرى فى الرسالة «بعنوان» من ساطع الحصرى إلى طه حسين «ويقول : إنه قرأ آراء الدكتور طه بدهشة

غريبة لأنه استبعد صدورها منه ، أو أنها نقلت مشوشة ، أو أن الدكتور أراد أن يمتحن الشبان الذين سألوه ليتأكد من مدى إيمانهم بالقضية ، فالآراء التى أدلى بها ربما كانت من نوع الآراء الجدلية التى ترمى إلى حمل المخاطب على التعمق فى التفكير» .

ثم يضيف :

إنه وجد نفسه حيال هذه الملاحظة بين عاملين مختلفين : عامل يدفعه إلى الإسراع فى مناقشة هذه الآراء لكى لا يترك مجالا لزعزعة إيمان بعض الشبان . وعامل يدفعه إلى التريث فى الأمر ليتأكد من صحة ما نسب إلى الدكتور طه حسين . . ثم يحلل ما أورده الدكتور طه بأسلوب علمى منطقى .

وكان رد الدكتور طه عليه هو نشر فصل من كتابه « مستقبل الثقافة » فى مجلة الرسالة ، وفى العدد التالى مباشرة[1] وقدم له بقوله : « إن كتاب مستقبل الثقافة ، قد كتب وطبع قبل مقال الأستاذ الحصرى » .

ورد الحصرى فى الرسالة أيضاً ناقداً لآراء الدكتور طه فى كتابه (مستقبل الثقافة) وكان زكى مبارك قد رد على أفكار مستقبل الثقافة فى مصر رداً موجزاً فى الرسالة أيضاً قائلا للدكتور طه : « إن نقده لم يزحزح الدكتور تماماً عن موقفه ، ولكنه عرض صدره بشبهات تستوجب الحذر حين تكلم فى هذا الموضوع مرة ثانية .

ولم يسلم الدكتور طه من قلم ساطع الحصرى مرة أخرى فى الرسالة

(١) العدد ١٢٥ بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٣٦ .

عندما تعرض فى أكثر من مقال لنقد كتابه هذا ، والرد على ما ورد به من أفكار رداً منطقيًا مفصلا .

وكان مستقبل الثقافة فى مصر ، ذلك الكتاب الذى أثار معركة أدبية ، وقف فيها ضد طه حسين كل من «ساطع الحصرى وزكى مبارك والدكتور هيكل» .

ورد الدكتور هيكل ما حواه هذا الكتاب إلى ٣ أصول :

(ا) الدعوة إلى حمل مصر على الحضارة الغربية ، وطبعها بها ، وقطع ما يربطها بقديمها وإسلامها .

(ب) الدعوة إلى إقامة الوطنية وشئون الحكم على أساس مدنى لا دخل فيه للدين ، أو بعبارة أدق : دفع مصر إلى طريق ينتهى بها إلى أن تصبح حكومتها لا دينية .

(جـ) الدعوة إلى إخضاع اللغة العربية لسنة التطور ، ودفعها إلى طريق ينتهى باللغة الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم ، إلى أن تصبح لغة دينية فحسب كالسريانية والقبطية واللاتينية واليونانية .

وقد دافع الدكتور هيكل عن اللغة العربية والأزهر والدين .

خامسا : جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى

وجناية أحمد أمين على الأدب العربى
على صفحات الرسالة والثقافة ١٩٣٩

بدأت هذه المعركة بسلسلة مقالات كتبها أحمد أمين فى مجلة الثقافة[١] تحت عنوان «جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى» قال فيها «كان الأدب الجاهلى صورة صادقة لحياة العرب فى جاهليتهم ، ثم جاء العصر الأموى فكان الأدب صادقاً لأن حياتهم لم تكن إلا امتداداً للحياة الجاهلية ، والعجيب أن يأتى الأدب العباسى على هذا النمط أيضاً ، والجديد الذى أتى به الأدب العباسى سطحى بالنسبة للحياة العباسية مثل الغزل فى المذكر ، والخمر ، والتنميق ، والإكثار من البديع ، وورود ألفاظ أعجمية فى أدبهم ، وأحمد أمين يرجع السبب فى ذلك إلى جناية الأدب الجاهلى عليهم .

كما كتب مقالا فى الثقافة أيضاً تحت عنوان «أدب الروح وأدب المعدة» صور فيه أدب الروح بأنه الأدب الذى يتصل بالعواطف السامية

---

(١) مجلة الثقافة الأعداد ١٩ و٢١ و٢٦ و٣١ و٣٣ .

عند الإنسان فيهذبها ويرقيها ويغذيها ، وبأنه الأدب الذى يسمو بالإنسان من عالم المادة ، يأخذ بيده إلى السماء . . .» وضرب أمثلة من أدب الروح بديوان الحماسة وغزل جميل وكثير ، والعباس بن الأحنف . . كما ضرب مثلا من أدب المعدة بالغزل الفاجر وبالمديح ، ووصف أدب المعدة بأنه الأدب الذى يدور حول ملء المعدة واستدرار المال .

وفى الرسالة[1] بدأت حملة من مقالات الدكتور زكى مبارك فى الرد على أحمد أمين بعنوان «جناية أحمد أمين على الأدب العربى ، وزادت هذه المقالات على ٢٠ مقالة ، استغرق نشرها ستة شهور ، ولكن رد زكى مبارك لم يكن حول آراء أحمد أمين بصفة مباشرة ، وإنما شابه الكثير من الذاتية والتطويل ، وكأن النقد منصب على أحمد أمين لا على أفكاره ، فصور تلخيص أحمد أمين للأدب العربى بأنه تلخيص يقوم على الخطأ والاعتساف ، ويرى قوله بجناية الأدب الجاهلى فتنة ، ويشرك أحمد أمين مع المبشرين والمستعمرين الذين حاولوا إيهام أبناء العرب بضعف الصلة بينهم وبين ماضيهم ، وأن المصلحة تقتضى وضع هذا الأدب فى المتاحف .

وفيما قاله الدكتور زكى مبارك : «إن الخطأ يصل إلى أحمد أمين عن طريقين : أولهما : عدم تمكنه من تاريخ الأدب العربى ، والثانى عدم تعمقه فى درس السرائر النفسية والوجدانية» .

(١) الرسالة العدد ٣١٠ فى ١٢/٦/١٩٣٩ .

وعندما تعرض لأدب المعدة وأدب الروح نقض رأى أحمد أمين بقوله :

«إن القرآن إذن على هذا الأساس أدب معدة لأنه ذكر الحور العين . . » ولم يرد أحمد أمين على هجوم زكى مبارك . . وأعلن زكى مبارك بعد انتهاء مقالاته بتوبته ، وتصالحه مع أحمد أمين على صفحات الرسالة ذاتها . . . [1] .

واشترك فى المعركة عبد المتعال الصعيدى فهاجم زكى مبارك ووصف بأنه «آخر من يدافع عن الشعر الجاهلى» لأنه هو وأستاذه طه حسين لايؤمنان بصحة ذلك الأدب . . وعاب عليه مناصرة أستاذه فى ذلك . وقال : «إن الفرق كبير بين رأى طه حسين ورأى أحمد أمين فى الأدب الجاهلى ، فطه حسين يرمى إلى الهدم والطعن فى ثقة السلف ، ونحن نرمى إلى الإصلاح» .

واشترك فيها أيضاً عبد الوهاب عزام ؛ وفند أفكار أحمد أمين ، وضرب أمثلة من الأدب العربى تتناول مختلف الموضوعات المعيشية ، ووصف آراء أحمد أمين بأنها تقوم على المبالغة والإغراق .

وختم أحمد أمين أفكاره بقوله :

«أردت أن يتحرر الأدب من قيوده التى تثقله ؛ وأن يكون الحكم فى أدبنا أذواقنا لا أذواق غيرنا ، وأن يكون أدبنا معتمداً على شيئين : خير ما فى الماضى مما يتناسب وحاضرنا ، ويبعث على تحقيق أملنا فى

---

(١) الرسالة العدد ٣٣٦ .

مستقبلنا ، ودراسة حاضرنا ، واستقامة أدبنا منه ، لا أن نعيش فى أدبنا على الماضى وحده ، وإنما يكون ذلك يوم نزن فيه الأدب العربى ككل أدب بموازينه الصحيحة من غير عصبية ، ونصرح بالنقص من غير خجل ، ونبنى ، الجديد فى غير هوادة ، ونكسر قيود القديم فى غير رفق . . . » .

سادسا : أثر الرسالة

للرسالة أثران بارزان : أولهما على قرائها ، وثانيهما على الأدب . أما أثرها على القراء فيبدو جليًّا فى أمور أهمها :

١ – أشبعت رغبات القراء ، وجذبتهم إليها ، وجعلتهم يتعلقون بها ، ويترقبون ظهورها ، ولم يكونوا ينظرون إليها على أن مابها « كلام جرايد » بل أعجبهم فيها وجاهة الرأى والمبدأ والغرض فمالوا إليها عن حب ورضاً .

٢ – جعلت من قرائها تلاميذ شكلتهم نفسيًّا وعقليًّا ، وأعدتهم لخوض المعارك الأدبية والسياسية .

٣ – خلقت جيلا من مثقفى الأرياف ، ومعلمى الطفل ، وطبعتهم على الذوق العربى الأصيل ، وأعدتهم لنقل رسالتها عن طريق التعبير للتلميذ المبتدئ ، مما أعان المدرسة على أداء رسالتها ، وأعان المدرس على إكمال مالديه من نقص أو قصور .

٤ – أقامت جوًّا من الارتباط الروحى والفكرى بين الناشئة من الشباب والسابقين من الكبار. وضمنت للأدب الفصيح ثباته فى وجه المارقين.

٥ – لم تقتصر فى معاملاتها على إقليم مصر فحسب، بل تخطت حدود مصر إلى البلاد العربية، ومنها انطلقت إلى أقاصى الأرض، وغزت عقولا وأمماً وكتاباً ومتعلمين، وطبعتهم بطابعها.

وأما آثارها على الأدب فهى المحصلة الكبرى لدورها الذى خلقت له والنجاح الذى أحرزته إنما يرجع الفضل فيه إلى ثبات المبدأ، والتعفف عن الدنايا والصلابة فى الحق، والتزام الغاية بلا التواء أو انعطاف، وأهم الآثار التى حصل عليها الأدب هى:

١ – تعد مرجعاً هاماً لتاريخ الأدب ودراسته:

يقول الدكتور «عبد اللطيف[1] حمزة»:

«إن الصحافة المصرية هى صانعة الأدب المصرى الحديث من قصة وقصيدة ومقال» يقول ذلك بصدد الحديث عن الصفحة الأدبية فى الصحف اليومية بوجه عام، فما بالك بمجلة أدبية متخصصة!!

ومجلة الرسالة تعد مرجعاً أصيلا لدارسى الأدب ومؤرخيه، ونقاده، فكثيراً ما نرى تعليقات وآراء وهوامش ترجع فى دراساتها إلى الرسالة، حتى بعض المراجع الأجنبية مثل كتاب «مصر فى البحث عن مجتمع

(١) فى مقدمة كتابه «الصحافة والأدب فى مصر».

سياسى[1] موحد » اعتمد فى الكثير من معلوماته على ماورد بالرسالة ، وسجل ذلك فى هوامشه .

ويمكن التأريخ لحركة الأدب المعاصر ، فى غضون الفترة التى عاصرتها سواء أكان ذلك التأريخ لشخصية من الشخصيات الأدبية ، أم لفن من فنون الأدب .

بل إن المعارك الأدبية على صفحات الرسالة تعد زاداً طيباً تلتقى فيه الآراء ، وتشتجر المعارك ، وينضج الفكر ، لأنه يعرض وجهات نظر متباينة ويصل فى نهاية المطاف إلى فكر موحد ، أو رأى مصقول هذبته الأفكار وأحكمته التجارب .

وأى أديب من الأدباء المعاصرين الذين كتبوا للرسالة ، أو كتبت عنهم الرسالة يمكن أن ترجع إلى كل ما يدور حوله أو يخصه من كتابات ونستشف منها الأصول التى نرجع إليها فى تقييم أدبه .

ولا عجب أن أطلق الزيات على الرسالة اسم « ديوان العرب » تيمناً وتشبيهاً بالشعر العربى الأصيل الذى كان فى جاهليته ديوان العرب ، فهى فى ازدهار عصرنا مرجع يعتمد عليه فى اقتضاء حق الأدب .

فمثلا دراسة القصة ورجالاتها ، وأطوار نموهم ، نجد أنفسنا عن طريق الإلزام معتمدين على مانشر بالرسالة وأختها الرواية فى الفترة التى عاصرت ظهورهما .

---

(١) Egyptain seerch of political Community (Nader safram) London: Axford University Press 1961.

وقل مثل ذلك عن الشعر ، وعن التراجم الأدبية للشخصيات ، وعن بحوث العلوم والكيمياء ، والمسرح ، والموسيقى ، . . . وغيرها .

٢ – عملت على نشر الأدب ونقده وتقييمه :

كان الزيات يطلق الحرية للكاتب والشاعر ، كما كان لا يقصر النشر فى الرسالة على المشاهير من الكتاب والشعراء ، بل فتح المجال أمام الجميع ، ولم يقتصر على فن معين من فنون الأدب ، كما لم يكن دائراً فى إطار عربى فقط ، بل واءم مابين الشرق والغرب ، ولاءم مابين القديم والحديث ، وشد أزر المحسن وأعان المتعثر ، وترك باب النقد لمن كان صاحب رأى أو حق ، وتابع المنشور من بعيد حتى لا ينحرف به الطريق ، وأصلح المعوج حتى لا يشذ به المقام .

وجمعت سيلا من المقالات والقصص ، وتابعت الأحداث وسجلت كل نبض فى وجدان الأمة ، وجرت فى مضمار من الحركة السريعة المنطلقة ، لا تألو جهداً ولا تقصر عن غاية .

وكانت مواقفه النقدية فى أغلب الأحيان موضوعية ، لا ترقى إليها الشكوك ولا تنفر منها الفطر السليمة ، تأخذ المخطئ بخطئه ، أيًّا كان مركزه ، وتعلى قدر المثيب ولو كان دون درجات التبجيل والتقدير .

وتفتح المجال أمام الصاعدين ليشتركوا فى مسابقاتها ، أو يسجلوا نبض خواطرهم فيها فأثرى الأدب والنقد على يديها ، ومن ثم تخلت الزاد الذى يقدم إليها ونحت جانباً ما فيه إسفاف حتى لا تهبط بالمستوى ،

وقدمت ما فيه الجدة والطرافة والغذاء الروحى ، ولو أراد كل أديب أن يجمع لنفسه كتاباً من وحى الرسالة كما فعل الزيات لتجمعت لدينا ثروة ضخمة تحمل نفس الاسم ولكن بها ذاتية أخرى غير ذاتية الزيات ، وبها وحى آخر ليس كوحى الزيات ، وإنما يدور فى فلك وحى الرسالة .

٣ – كانت الرسالة مدرسة يتخرج فيها الأدباء :

كثير من أدباء مصر ورجالات الأدب فيها فى النصف الأول من القرن الحالى ، بل قادة الأدب فى النصف الثانى منه يرجع الفضل فى الكشف عنهم وصقل مواهبهم ونباهة ذكرهم ، وأصالة فنهم إلى الرسالة .

اجتمعوا على صفحاتها بالقول والرأى والفكر ، وشاركوا فى معاركها بالمناقشة والمعارضة والتأييد ، وتأثر بعضهم ببعض ، وأثر بعضهم فى بعض وكانوا على اختلاف مشاربهم ونزعاتهم يمثلون حلقة مفرغة .

فمثلاً الشعراء :

على محمود طه ، ومحمود حسن إسماعيل ، وأحمد رامى ، وإبراهيم ناجى ، ومحمود غنيم ، والعوضى الوكيل ومعروف الرصافى وأنور العطار وأحمد الغزالى تعارفوا وتباروا وتنافسوا على صفحاتها ، وكان لهم دور بارز فى معارك القديم والجديد ، بدءوا على صفحاتها وانتهوا إلى سماء عروبتنا ، وفى سلم ارتقائنا .

ومن الكتاب :

أنور المعداوى وعباس خضر وعبد المنعم خلاف ومحمود الخفيف

ودريني خشبة . . وغيرهم سلكوا سبيلهم فى الأدب على صفحاتها ، وتركوا اثاراً لا تمحى فى مجلداتها ؛ وهم وغيرهم من الشعراء والشاعرات دفعوا تيار التطور . وكان زادهم ما جمعوه على صفحات الرسالة ، وما سطروه فيها من إنتاج ثرى .

« وتذهب الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فى كتابها « قمم أدبية » إلى أن كثيراً من كبار الأدباء كأحمد أمين والدكتور أحمد زكى ومصطفى صادق الرافعى لم يرتفع نجمهم ولم يبرز لهم شأن إلا على صفحات الرسالة » .

وأيًّا كان رأيها فإن الرسالة لها الفضل فى أن قربت ما بين القديم والحديث ومزجت فكر الشرق بمستحدثات الغرب ، وجمعت فى إطار واحد رجل العبارة الرصينة الجزلة إلى أديب السلاسة والعذوبة والطراوة ، وألفت منهما باقة أدبية كفلت للقديم انبساطاً وللحديث امتلاء واتساقاً .

٤ – أطلت بنا على الأدب العالمى :

قال الزيات عندما همَّ بإصدار الرسالة إنه سوف يجعل منها منبراً تلتقى عليه أفكار الشرق والغرب ، وذلك ما حدث فعلاً ، فكثيراً ما ترجم الأدباء عن الفرنسية والإنجليزية والروسية والألمانية بل عن الصينية والهندية والفارسية . . وأحياناً كان يكتب النص بلغته الأصلية وإلى جواره الترجمة ، بل أحياناً يطلب من القراء أن يشتركوا فى مسابقة بالفرنسية أو الإنجليزية .

وربأت بنفسها عن الانطلاق وراء الغربى حتى لا تفقد ذاتيتها ، بل أخذت منها ما يتفق وتقاليدنا ونظمنا وحياتنا . وعزفت عن أدب اللذة والمجون إلا نادراً ، وعكفت على القيم الأخلاقية والتسامى ، وتتناول بالترجمة ماله صلة روحية أو إنشائية ، وما يرمز إلى معان من الأمل والمتعة الجادة كروفائيل وآلام فرتر وغيرهما من عيون الأدب الغربى .

٥ – أرست دعائم الأسلوب العربى الرصين :

كان الزيات يطمئن دائماً على سلامة المعروض من مقالات من ناحية اللغة ، كما كان يلمس ما يصل إلى يده بلمسات جمالية تخلع عليه ثوباً موسيقيًّا عذباً ، وعبارته هو فى مقاله الافتتاحى جذبت إليها الشباب الطامح فتلقفها وحفظها عن ظهر قلب ، وتمثلها فيما يكتب ، وتركت آثارها من بعد فى أسلوبه ، وأصبح متذوقة الأمس ، أدباء اليوم لا يعجبهم إلا ما يهتزون ، إلا لما عشقوه ، وما عشقوه كان فنًّا على صفحات الرسالة ، وكان أدباً تتأسى به النفس وتعشقه بل إن بعض ناشئة الأدباء يحاولون التجديد فى الخط تأثراً باللفظ . وجمعاً بين مزيتين ، مزية الصياغة ، ومزية التناسق فى الشكل والمضمون .

٦ – الأثر الفكرى الإنسانى :

يظهر أثر هذا الاتجاه فى توجيه الفكر ، وتنمية المواهب ، ونشر المادة التى تدفع العمل الأدبى إلى آفاق أرحب ، وإلى نظرة أعمق وأشمل ،

والأثر الفكرى لمجلة الرسالة يبدو فى نواح عدة أهمها :

(ا) الاتجاه الإسلامى .

(ب) المجال العربى .

(جـ) المجال الاجتماعى .

(د) المجال الفنى .

— فى الاتجاه الإسلامى فتحت الباب لمناقشة القضايا الإسلامية ، ولإثراء الفكر الإسلامى الصحيح ، والتأريخ لرجالاته ، والبحث فى أحكامه ، والاجتهاد فيما استغلق من مراميه ، وإن كان الاتجاه الإسلامى لم يبد واضحاً محدداً فى بعض الأحاديث ، إلا أن المناسبات الإسلامية كانت تلتف حول ما ينشر فى إطار من الألفة والبحث عن المعرفة الإسلامية الصافية . . وغنى عن البيان أن الزيات كتب فى عبقرية الإسلام ، وفى أعياد الأضحى والفطر والهجرة والمولد النبوى . . وغيرها من معالم الإسلام الكبرى . . وكثير من أئمة الفقه والدين نشرت لهم الرسالة بحوثاً ودرست حياتهم بشىء من التفصيل والعمق . . وعالجت كثيراً من المشكلات الفقهية كالزواج والطلاق والعبادات . . والمناسك . . وغيرها .

— وفى جانب آخر نرى مدى اهتمام الرسالة بوحدة الصف العربى . وتناوئ الاستعمار الداعى إلى الفرقة ، وتحارب الشعوبية ودعاتها ، وتسد ثغرات التهجم على العروبة ، واتخذت الجانب العلمى فى معاملة أبناء العروبة ، ووزعت كثيراً من أعدادها على مختلف أقطار الوطن العربى ،

ودعت فى الأوساط العربية إلى الكتابة على صفحاتها . ولباها إخوة لنا من الشام والعراق وفلسطين والمهجر ، وغيرها من البلاد العربية . ودافعت تيارات العامية ، ومحاولات القضاء على الفصحى ، كما حددت الهدف من دعواتها إلى العروبة ، وعملها على تقريب أمة الوحدة ، وكلما ذاع خطب أو نزل أمر فى أى جزء من أجزاء الوطن تفزع الرسالة ، وتخرج على العالم بحرب لاذعة لا تعرف الهوادة أو الملاينة .

وآثرت أن تربط بين قديم العرب ، وجديدهم ، وألا تغمط القديم حقه ، كما لا تترك الجديد ليعتدى ويجتاز الحق المقرر له ، وفى المنشور على صفحاتها دلائل صدق ، وشواهد حق بكل ما تقدم ، وسبق أن قدمت القول فى هذا المجال .

– وفى المجال الاجتماعى عرضت للمشكلات التى تحد من انطلاق الأمة ، ورسمت الحلول لها بدءاً من القرية ومشتملاتها . والمدينة وما تحويه من تناقضات ، والأزهر ورجاله ، والفقر وعلاجه . . وأدت بهذه الدعوات إلى خلق رأى عام مستنير يتأثر بالأحداث ويؤثر فيها .

وعلى الرغم من أن جو الرسالة يدور فى فلكه المثقفون ، والدارسون إلا أن هذا الجو ونتائجه انعكس على الأمة ، وكان له أثر بعيد فى حياتها .

وما فتئت الرسالة تنادى بالإصلاح الاجتماعى فى المجال الدينى والسياسى والتعليمى والوظيفى . . بل فى مجال محاربة الإقطاع والاستغلال .

وتعرضت مرة للمصادرة فى لبنان حين هاجمت سياسة المستعمر

الفرنسى ثم عادت إلى دخول لبنان بعد أن هدأت الأحوال السياسية فيه ؛ ولم تصادر فى مصر ؛ لكن قدم الزيات للمؤاخذات لدى المسئولين فى بعض الأحيان ، غير أنه تحامل وصابر وظفر ممن حوله بالإعجاب والتقدير ، ولم يمنعه ذلك عن مواصلة الدعوات الإصلاحية الاجتماعية .

وبالنظرة العجلى إلى عناوين الجزء الأول من وحى الرسالة نقرأ :

فى الجمال ، فى الربيع ، فى العيد ، فى المرأة ؛ على الشاطئ ، بين النيل ، والأكروبول ، القرية أمس واليوم ، رمضان ، فى الأقصر ، عيد الأضحى ، فى الحال الحاضر ، دار الوظيفة ، إلى القرية يابك ، الأزهر بين الماضى والحاضر ، ذكرى المولد . . إلخ عناوين تجمع أنماطاً من القول ، وتدور حول معان كبرى . . حول الدين والمجتمع والعروبة والإنسانية ، والفن والجمال . . فهى نافذة أطل منها الأدب على حياتنا واستجابة عاطفية لمطالب الشعب تلبيها فى أمانة ورزانة وإيمان .

– أما أثرها فى المجال الفنى ، فيتمثل فى الثروة الأدبية ، والميراث الذى خلفته لنا هذه المجلة وستظل أعدادها مرجعاً لكل دارس ، كما أنها فى سجل الزمن تمثل حقبة من أحقاب عمرنا الأدبى ، على امتداد عصور الأدب .

ومنها تجمعت كتب أشهرها : وحى الرسالة للزيات ، ويوميات نائب فى الأرياف والبرج العاجى لتوفيق الحكيم ، وترجمات دريني خشبة وأهمها الإلياذة والأوديسة وكتاب أحمد عرابى لمحمود الخفيف ، وليلى المريضة بالعراق لزكى مبارك . . وغيرها كثير . بل إن معظم كتب

الزيات – إن لم تكن كلها – قبل أن تنشر فى كتب – كانت مقالات وفصولاً فى الرسالة .

والموضوعات الفنية التى نشرت فيها على اختلاف ألوانها تعد زاداً للدارس ، ومرجعاً لكل طالب ، وإن كانت الرسالة قد أعطت الفن جانباً ، فإنها لم تغفل العلم ولا الفلسفة بل حشدت كل ما تقدر عليه من جهد إنسانى وحضارى . . وسارت تهدى الأجيال .

تعقيب :

هذا أثر الرسالة ، وذلك قدرها ، وجدت فراغاً فملأته ، وخللاً فعالجته ، ووقفت تصابر وتكافح فى عزة المؤمن وثقة الخبير ، وكانت يد الزيات من ورائها تزجيها وتدفعها فى كل صوب . .

وعلى الرغم منه ، وعلى الرغم من كل عربى غيور مؤمن ، وعلى الرغم من طبيعة الزمن وروح النهضة فإن الرسالة أخذت تخبو ، على عتبات النصف الثانى من القرن العشرين – فلماذا احتجبت ؟ ولماذا أغلقت أبوابها ؟ وكيف يمكن لغيرها أن يحل محلها .

حقًّا لقد نجحت الرسالة فى التخطيط وفى البداية ، وشغلت الرأى العام الأدبى . وصادفت هوى لدى الجميع . وأعطت القارئ كل ما يريد . ولم يكن هناك المنافس لها وسارت وحيدة تحث الخطى . وتجمع الشمل ، وتخلق من اليأس أملاً .

ولكنها توقفت فى الوقت الذى نحن فى أمس الحاجة إليها ، ويرجع

التوقف إلى أمور أهمها :

١ – ظروف المجتمع وثقافته تغيرت ، ولكنها لم تغير أو تطور نفسها .

٢ – الضرائب التى قدرت عليها جزافاً وبلغت ٢٤٨٥٥ جنيهاً ووقع الحجز على الرسالة ، وعلى صاحبها . . وعارض الزيات الحكم فخفض المبلغ إلى ١٢٦٠٧ جنيهات وكان قد بادر بسداد الضرائب قبل أن يتجمع عليه دين كبير .

٣ – قلة الموارد أو ندرتها ، وعدم تمكنها من سد العجز الذى تعانيه ، فآثرت الانزواء ، وقال الزيات فى آخر عدد له . . « الرسالة » تحتجب » بعد أن فند أسباب الاحتجاب ، وأرجعها إلى العجز المالى ، وألقى التبعة على الحكومة ، وعلى وزارة التربية والتعليم بوجه أخص » .

ورد عليه العقاد وطه حسين ، موضحين أسفهما وألمهما لاحتجاب الرسالة ولم يلقيا التبعة على الحكومة بل علقاها على رقاب الجماهير فهى صاحبة الكلمة العليا .

وكتب الأستاذان عبد الرحمن الشرقاوى وعباس خضر يعلنان أن احتجابها أمر طبيعى لأنها جمدت على التطور ، وتمسكت بالقديم فوقف بها التجاوب مع الحديث .

وأياً كان الأمر فقد صدرت مجلات أدبية تحمل نفس الاسم فى مصر ، وفى بلاد العروبة ولكن لم يقدر لها النجاح ، وفى القاهرة صدرت الرسالة الجديدة عام ١٩٥٤ عن دار التحرير للطباعة والنشر ، ورأس تحريرها الأستاذ يوسف السباعى . . ولكنها بعد قليل توقفت .

وفى عام ١٩٦٣ صدرت الرسالة عن وزارة الثقافة ، ورأس تحريرها الزيات بنفسه . ولم تدم طويلاً . لأنها لم تقدم رغبة للقارئ العربى . لا تسير فى ظل التطور . أو تلبى رغبات المجتمع [١] .

والآن ؟ ما الحل ؟

هل نترك المجال خالياً دون إيجابية منا ؟ وهل يظل الأدب على حاله من الركود وعدم الانطلاق والمشاركة ؟

أغلب الظن أن الأمر لو ترك على حاله لزاد الطين بلة . ولبعد ما بيننا وبين الفصحى ولأقفرت سوق الأدب من النابهين .

ويجب تدارك الأمر ، وإصدار مجلة أدبية لها طابع الرسالة وهدفها ، ولكن تمتاز عنها بالطرافة والتجديد .

ولتكن هذه المجلة رائداً للطالب فى مدرسته ، وللعامل المثقف فى معمله ، وللصانع المستنير فى ميدان صناعته . . وقبل أن يغرقنا تيار الأدب الشعبى والعامية . . يجب أن نستجيب لضمائرنا ، وأن نقف على أرجلنا وقفة البناة والمخلصين الدعاة . وقد سبقنا الزيات بالمثل ، وما علينا إلا التطوير .

وسبقتنا الأحداث بآمالها وآلامها ، وعلينا اللحاق بها حتى لا تبتعد بنا القافلة أو تولى عنا الأيام .

---

(١) يرى الأستاذ عمر الدسوقى أن هذه الرسالة كانت تستهدى بقوة أختها القديمة إلا أن أحد أصحاب النفوذ (الدكتور لويس عوض) فى وزارة الثقافة غضب من المقالات التى نشرها الأستاذ محمود شاكر على صفحاتها ، فعمل على عرقلة مسارها حتى احتجبت .

وإخراج تلك المجلة وتمويلها والإشراف عليها ، أمر سهل ولكنه فى صميم المشكلة ، لأنه حياتها ، وحياة الآلاف من القراء معه ، ويسير على خطة مدروسة وأساس علمى سليم .

سابعاً : احتجاب الرسالة

أشاع احتجاب الرسالة لوناً من الكآبة فى أفق الأدب العربى ، وسطر الشعراء والأدباء خواطرهم حول هذا الخبر المؤسف . . وممن اشترك فى تسجيل تلك الخواطر الأستاذ العقاد ، وفى ذلك يقول[1] :

« فى مفتتح هذه السنة كتبت فصلاً عن تاريخ الثقافة فى الستين السنة الأخيرة لمناسبة العيد الستينى لمجلة « الهلال » أسفت فيه لحال الصحافة العلمية وقلت فيه :

(إنها لم تكن قط عندنا ، أو عند غيرنا قائمة على القراء بغير معونة الدولة أو الجامعات أو التبرعات المحبوسة عليها من نصراء العلوم) .

ثم ختمت الفصل راجياً :

« أن يكون لها فى المستقبل شأن يقيم أودها إلى جانب الكتب ، أو إلى جانب الصحف التى تجمع بين العلوم والآداب ، والقصص والطرائف على الإجمال » .

ولم يكن يدور بخلدى حين كتبت هذا أن مجلتين فى طليعة مجلاتنا

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٥٣/٢/٢٥ .

الأدبية تضطران إلى الاحتجاب عن قرائهما قبل انقضاء شهرين ، فبدأت السنة الحاضرة باحتجاب الثقافة ، وقد مضى على ظهورها (ست عشرة سنة) ولم ينقض الشهر الثانى من السنة حتى أعلنت زميلتها (الرسالة) أنها تختم أعدادها ، وتودع قراءها ، وقد مضى على ظهورها أكثرمن عشرين سنة ، ولاشك أنهما حادثان سيذكران من حوادث هذه السنة عند الكتابة عن تاريخ الأدب العربى الحديث .

وإذا كانت المنفعة الأدبية غالبة على المنفعة المادية فى هذه المجلات جميعاً ، فإن الضرر من إرهاقها بالضريبة أكبر من كل فائدة تجنيها خزانة الدولة من فرض الضريبة عليها ، ويكفى دليلاً على استحقاقها للإعفاء من الضريبة ، أنها لا تجنى ربحاً يمكنها من البقاء ، ولو كان لها مثل هذا الربح لما احتجبت واحدة بعد واحدة عن الظهور .

خسارة محزنة أن تحتجب المجلتان الرائدتان لصحافة الأدب فى العالم العربى كله ، بعد أن صابرتا الأيام نحو عشرين سنة ، ولا نظن أن الحيلة تضيق بدفع هذه الخسارة ، وهى شىء يعنى نحو ٤٠ مليوناً من أبناء الأمم العربية ، ويذكر فى تاريخهم الأدبى ولا مراء . .

وأى بأس هذا ؟ إنه لبأس عظيم ، وأحسبها عثرة للسنة الحاضرة فى خطوتها الأولى ، لا تلبث أن تقال فى خطواتها التالية « إن شاء الله » .

ونظرة سريعة على هذا القول توقفنا على مدى اللوعة التى أحسها العقاد ، وعلى حجم الخسارة التى منى بها الأدب ، وعلى قيمة الفاجعة وسط ٤٠ مليوناً من العرب ، بل يحسب هذا الاحتجاب عثرة للسنة

الحاضرة (عام ١٩٥٣) فى خطوتها الأولى ، وأبى أن يقطع الأمل فى العودة فسجل أمنيته فى ختام حديثه راجياً أن تقال هذه العثرة فى الخطوات التالية « إن شاء الله » . . وكانت إرادة الله فوق كل إرادة ، فقد حاول المسئولون أن يعيدوا للرسالة أمجادها ، وأن يبعثوا الأمل فى صورة « رسالة جديدة » تحاول جمع ما تفرق ، وبعث ما تهدم ، ولكن المحاولات لم يكتب لها الدوام أو الاستقرار » .

وفى هذا العدد من الأهرام يقول الشيخ محمد محمد المدنى أحد كتاب الرسالة :

« لقد ظلت الرسالة عشرين عاماً أو تزيد ، مناراً للطريق القاصد ، ومنهجاً للإصلاح الحكيم ، تعتقد أن العروبة إذا اتحدت كانت بقوميتها أساساً لنهضة الشرق ، وأن الشرق إذا نهض كان بطبيعته أضمن للسلام من الغرب ، وأن الإسلام إذا تجدد كان بسياسته أصلح لإقرار العدل من كل نظام وأن الأزهر إذا أصلح كان بثقافته أهدى من أية جامعة إلى تربيتنا .

وكانت تحرص على أن تكون صفحاتها معارض للأدب الرفيع ، ومجالا للفكر الحصيف ، وشواهد بينات على أنه لا ضير على الأمة أن تختلف العقول إذا ائتلفت القلوب . .إلى أن يقول :

« يجب على الدولة أن تعيد النظر فى قراراتها التى يضار بها رجال العلم والأدب ، وأن تبذل كل ما تستطيع لإعادة الحياة والقوة إلى الرسالة ، وأمثال الرسالة ، وإنى أعيذ عهد الإصلاح والنهضة والتجديد ، من أن تموت فيه أشجار باسقة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » .

وفى أخريات حديثه يرجو من عهد الإصلاح (عهد الثورة) أن يعمل على إحياء الرسالة قبل أن يغطيها النسيان بأذياله، وتتعالى الصيحات فى كل مكان بالوطن العربى، وتتسابق الأقلام وتتصارع الأفكار، ويدعو الجميع إلى بعث الرسالة من جديد، وتستجيب الرغبات، وتتلاقى وجهات النظر، فيسارع المسئولون إلى الزيات يطلبون عونه، ويرجون على يديه بعث الرسالة فى ثوب جديد؛ وبأسلوب جديد.

وفى ٢٥يوليو ١٩٦٣تعود الرسالة إلى الظهور، باسم«الرسالة الجديدة» ويسند تحريرها إلى الزيات، على أمل أن يكتب لها البقاء والنماء، ولكن وسط ظروف لا تعين على تواصل أو بقاء. وحاول جاهداً أن يوقفها فى وجه الآلام والأمانى، ولكنه لم يستطع ولم يكن عليه من جناح؛ فتعثرت بها السبل، ولم يقبل عليها القارئ المتذوق فصارت عبئاً وجهداً وعملا لا يمكنه أن يشق طريقه وسط عوامل التجديد والسرعة؛ وعوامل الثقافة المذبذبة أو أدب السندوتش، أوطغيان العامية على الفصحى. وتوقفت كما توقفت أخت لها من قبل.

وجمع الزيات عصارة أيامه وخبراته، وأخذ طريقه إلى مجلة الأزهر. يعطيها ما لديه من زاد أو توجيه أورياء. وصبروصابر حتى كتب لها الاستقرار والسداد. وكان يكتب فيها الفينة بعد الفينة، وانقضت فى أوليات عام ١٩٦٨أواخر محاولات الإنتاج والعمل، ولكن البصر صار كليلا، والبدن أضحى عليلا، فأخلد إلى

الراحة والعلاج ، وعزف عن الدنيا وهمومها وانصرف إلى العزلة يستوحيها ويصايرها ، وإن كان لم يفقد الأمل فواصل العمل بمجلة الأزهر .

وحاول بعض الأدباء فى العالم العربى أن يقيموا رسالة على منوال رسالته أمثال الأستاذ « جان كميد » رئيس تحرير مجلة الرسالة فى بيروت ، وكتب إلى الزيات يستمد منه العون والرشاد قائلا له فى رسالة خاصة (١) : « حضرة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات المحترم » .

« لأول مرة أكتب لكم ، وقد كنت أهم بذلك دوما ، وأثنى احتراما لمشاغلكم فى مجلة الأزهر الكريمة ولكننى الآن نادم ، لأننى وأنا القائم بإصدار مجلة تحمل اسم المجلة التى قمتم بأعبائها عشرات السنين ، فكانت لوحدها حديثاً فى الأدب ، ومنارة فى الظلمات ، كان ينبغى أن أبدأ عملى بأن أسترشدكم فيه ، وأستهدى برأيكم وحصيلة خبرتكم .

ويقيناً لو كان لهذه المجلة « الرسالة » اللبنانية ، مجلس أمناء ، لكنتم أولى الأدباء برئاسته ولو كنتم فى لبنان لكنتم أحق بتوليتها منى ، فليس أحد مثلى يعرف كم كان لرسالتكم المحتجبة من مكانة فى نفوس القراء ، فى البلاد العربية كافة ، إننى منذ بدأت إصدار « الرسالة » توارد على سيل من الرسائل من جميع الأنحاء يهنئنى أصحابها على اختيار هذا الاسم تيمنا بمجلة مصرية كانت تحمل الاسم نفسه ، كما جملت الأدب العربى على أكتافها أطول مدة من الزمن ، ويستبشر المراسلون بالمجلة الجديدة حاملة الاسم العظيم ، ويتمنون لها أن تخلف حقاً تلك الرسالة ، التى ما كان

---

(١) الرسالة بغير تاريخ ، ولكنها تشير إلى الفترة التى عمل فيها الزيات بمجلة الأزهر .

ينبغى لها أن تموت ، وأصدقكم القول : إن كثيراً من الأدباء ، وافونا بأشياء ثمينة دون طلب منا ، وكتبوا لنا أن مبعث إيثارهم لمجلتنا على سائر المجلات حبهم لاسمها العزيز عليهم ، إذ يذكرهم بالمجلة الكبرى « رسالة » مصر . . « رسالة » الزيات على حد قولهم .

من هؤلاء الأديبة اللبنانية المرحومة « جهان غزاوى عونى » والأديب العراقى « عبد المجيد لطفى » . . هذان اسمان يحضرانني فى الوقت الحاضر ، وغيرهما من أسماء الأدباء كثير . . وغيرهما من أسماء القراء العاديين ما لا يحصى .

وبعد ، . فلكم على هذه المجلة فضل ، ولو لم تدروا به . . وهى اليوم تستزيد من فضلكم بأن تطلب إليكم مقالا عن شاعر كبير من أصحاب تلك النبرة التى لاشك أنكم تصبون حنيناً إليها عندما تسمعون اليوم زمزمات الناشئين ، ولجلجات أصحاب « التجديد » فنحن بصدد تخصيص عدد بالشاعر خليل مطران وسيكون عدداً ممتازاً حافلاً يفى حق الشاعر ذى الصوت العميق ، والأصداء البعيدة ، والمقرر أن يصدر هذا العدد فى منتصف آيار (مايو) القادم ، فرجائى الأول أن تتكرموا بالاستجابة لهذه الدعوة وثانية أن تتفضلوا بإرسال المقال قبل الخامس والعشرين من نيسان (أبريل) .

وإنكم بهذا لتؤدون خدمة جلى « لرسالة » اليوم كما تقومون بمبادرة

تكريم ، لذكرى رسالتكم الخالدة ، التى لن تمحى من الأذهان ، مهما استمر انقطاعها وعساه لن يطول » .

مجلة « الرسالة » ص ب ٤٠٨٠ — جان كميد
بيروت – لبنان — رئيس تحرير مجلة الرسالة

إنها رسالة تعبر عن تقدير عميق ، وإحساس رقيق . وتسجل لرسالة الزيات مفاخر ، وتستلهم منه المعونة والترشيد ، وصاحبها إنما قام بهذه التسمية لمجلته تيمناً وتطلعاً إلى المجد الذى كانت فيه سميتها من قبل . . ويبين أثر الزيات ومجلته فى الأجيال فيقول :

« فليس أحد مثلى يعرف كم كان لرسالتكم المحتجبة من مكانة فى نفوس القراء ، فى البلاد العربية كافة » . .ويؤكد هذا المعنى بعبارة أخرى هى :

« فلكم على هذه المجلة فضل ولو لم تدروا به ، وهى اليوم تستزيد من فضلكم . . » هذا الصوت وغيره كثير ، رددته أقلام ، وحمله البريد ، ورد عليه الزيات إلى آخر رمق فى الحياة . وظلت الرسالة حدثاً يروى ، وتاريخاً يذكر ، وجمع الزيات مقالاته ، وقصصه ، ودراساته فى وحى الرسالة ثم فى ضوء الرسالة ، كما أفرد للقصص كتباً تعالجها منها آلام فرتر . وفى ضوء القمر . . وغيرهما .